روايات مصرية للجيب

أنين الروح





فوزي عوض

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

على استحياء وفى رقة متناهية ، راح الفجر يمدُّ نوره الفضى العذب فوق المروج القليلة الناجية من الزحف العمرانى الأسمنتى الكئيب .. وبدت الزروع التى انقشع الظلام عن خضرتها ، وكأنها تتنفس الصُّعداء لجلاء الليل عنها بوحشته وكآبته .. وبدت من زهوة خضرتها ، وكأنها سعيدة مبتهجة بمقبل الصباح الجديد ، فراحت تطلق من رئاتها زخات كثيفة متلاحقة من الأكسجين النقى الطازج فى نشوة وابتهاج ..

ومن داخل إحدى بيوت الحى المتواضعة القابعة على أطراف المروج جاء صوت صوفى حنون جميل يخفق له القلب ، وترفرف له الروح .. صوت هديل حمامة رقيقة تعزف لحن التسبيح لخالقها حمدًا وشكرًا على هبة اليوم الجديد .. وإذ بمعزوفتها الصوفية هذه ، وكأنها دعوة لجحافل العصافير الناعسة فى أيكاتها بين أغصان الكافور والتوت والجميز التى تحفُّ المروج ، فإذا بتغريدها يغمر « كفر الباشا » كله فى سيمفونية منغَمة هى العذوبة الخالصة بعينها .

وفوق سطح بيت شديد التواضع ، يشبه دور الريف ، ويطل مباشرة على المروج المؤدية إلى طريق « مؤسسة الزكاة » ، ظهرت (نادية) .. ظهرت بوجهها الوردى الصبوح ، وبملامحها الحلوة النضرة التى تفوح بطزاجة بنت الثمانية عشر ربيعًا .. راحت تدير عينيها الزيتونيتين الفاتنتين على قمم الأشجار المرتفعة أمامها ، وكأنها تفتش فيها بعينيها عن شىء ما .. وجاءها ما تبحث عنه .. تغريدة كروانها الحبيب ، فإذا بنظراتها تتوقف فى اتجاه الصوت ، وهى تبتسم منتشية هاتفة فى سعادة غامرة :

ـ صباح الفل يا أجمل .. وأرق .. وأروع كروان ..

أين كنت ؟

وجاءها الرد .. تغريدة تقطر عذوبة ، فأردفت الفتاة هاتفة :

ـ وحشتنى أيها الشقى ..

وجاءها رد أجمل .. تغريدة طويلة موصولة منغمة ، كأنها مقطوعة موسيقية راقصة ، جعلت الفتاة تضحك هاتفة فى نشوة :

ـ ما هذا كله أيها الشقى ؟ أتغازلنى أم تهنئنى ؟

وسكتت قليلاً متطلعة إليه بين الأغصان فى انتظار جوابه ، وحينما لم يجبها أردفت قائلة بنشوتها :

ـ على رسلك يا صديقى .. غازلنى كما تشاء .. وهننى كيف تشاء .. فاليوم هو أجمل أيام حياتى .. هو أول يوم لى فى الجامعة .. هل تصدّق هذا يا صديقى ؟ هل تصدّق أننى صرت طالبة جامعية ؟ هل تصدّق ؟ (نونَة) صارت طالبة جامعية ؟!

(نونَة) ؟!

(نونَة) يا كروان ؟!

(نونَة) القطقوطة الصغيرة الضعيفة الفقيرة ، التى لم يكن لها ونيس سواك وهى منكبة على دروسها هنا بجوارك ..

(نونَة) هذه صارت طالبة جامعية ؟!

(نونَة) يا كروان ..

(نونَة) ..

(نونَة) انتصرت وحققت .. المستحيل .

انتصرت على اليتم والفقر والجهل ..

سحقت ظروفًا لم يكن لها سوى وجهة واحدة .. الضياع ..

ولكن (نونـة) لـم تضـع ، بل سـحقت ظروفهـا .. سـحقتها وقفزت فوقها .. قفزت إلى أعلى ..

إلى القمة ..

إلى كلية السياسة والاقتصاد ..

هل تصدّق هذا يا كروان ؟

هل تصدّق أن (نونَة) صارت طالبة بكلية كهذه ؟

هل تصدّق ؟

وفـاضت الدموع فـى العينين الزيتونيتين الرقيقتين .. دموع عزيزة بريئة ذاهلة هيّجتها دهشة الانتصـار علـى ظروف أوعر مـن المـوت .. ظروف كـانت كافيـة لأن تجعل مـن الـ (نونـَـة) واحدة من بنات الشوارع والأرصفة لا من بنات الجامعة ..

وكـادت (نونَـة) تنزل علـى ركبتيهـا مـن وطـأة مشـاعرها وخواطرها التى انطلقت من مكمنها دفعة واحدة .. ولكن صديقها الرائع ما كان ليتركها لهذا الهجوم القاسى .. أسرع ينتشلها منـه بتغريدة أحلى من كل ما أطلقه من تغريد .. ممـا جعل (نونـَة) تسرع بمسح دموعها ، ورفع عينيها نحوه بابتسـامة هـى أجمـل وأروع وأعذب ابتسامة عرفتها شفاه عذراء .. ومع ابتسـامتها

عادت مرة أخرى تنبش بنظراتها بين الأغصـان ، فـإذا بنظراتهـا تصطدم بأشعة الشمس ، وقد ومضت من خلف الأشجار بذهبيتها الساطعة ، فأسرعت تهتف :

ـ بإذنك يا صديقى .

وأسرعت تهبط درجات السلم قفزًا ..

مضت إلـى غرفـة جدتهـا ، ووقفت خلفهـا حتـى فرغـت مـن ركعتى الصبح ، فأسـرعت تجلس أمامها على ركبتيهـا ، مقبّلـة يدها ، قائلة بسعادتها :

ـ صباح الخير يا نينة .

وأجابتها الجدة فى حنو :

ـ صباح النور يا (نونَة) .

ثم راحت تواصل تسبيحها على حبات مسبحتها الكريستال .. كانت مسنة ضئيلة الجسد سمراء البشرة ، ولكنهـا تشـع قداسـة وروحانية ترطبان القلب .. انتظرتهـا (نونـَة) حتـى فرغت من تسبيحها ، ثم أسـرعت تحتضـن يديهـا الصغيرتين المعروقتيـن ، هاتفة :

ـ ألا تلاحظين شيئًا يا نينة ؟

- ماذا يا (نونَة) ؟

- الدنيا اليوم لونها بمبى .

فهمت الجدة .. ابتسمت قائلة بحنوها الملائكى :

- ربنا يجعل أيامك كلها بمبى يا (نونـة) ، ويجعلـك تجلسين أمامى نفس الجلسة وبنفس الفرحة يوم حصولك على الشـهادة الكبيرة .

وكان رد (نونَة) فى ثقة وتفاؤل :

- إن شاء الله سوف يحدث يا نينة ..

إن شاء الله .

كانت يدا الجدة ترتعشان بمسبحتها ، ومع ذلك تطلعت مليًا إلى حفيدتها وهى تقول لها بكلمات واضحة مفصلة :

- لكى يحدث يا (نونَة) لابد لنا أن نرعى الله فى مسلكنا .. نعمل ما يرضيه ، ونتجنب ما يغضبه .. الجامعة غير المدرسة .. الجامعة تخلط الشباب بالفتيات .. والشيطان يجد فرصة فى هذا الاختلاط .. فخذى حذرك .. خذى حذرك من الشباب قيراطًا ، ومن الفتيات أربعة وعشرين قيراطًا .. فالبنت لا تفسدها إلا البنت مثلها .

لمست الفتاة قلق جدتها ، وأشفقت عليها منه ، فكان ردها فى أدب :

- لا تقلقى يا نينة .. أنت تعرفين (نونَة) جيدًا .. لا شىء فى عقلها سوى مستقبلها ..

وكان رد الجدة الطيبة :

- ربنا ينولك مرادك يابنتى .

ثم إذا بأسى مؤلم يطفح فى نبرتها وهى تقول :

- الله يجازى أمك .. بدلاً من أن تضمك فى حضنها بعد وفاة أبيكى .. ترميك هكذا لتتزوج وتعيش لنفسها .

وانفلتت زفرة مرارة شديدة من أعماق صدر العجوز ، وهى تقول :

- الله يرحمك يابنى .. ها هى نتيجة سوء اختيارك .

نكأت الجدة الجرح الغائر فى نفس البنت اليتيمة ، فانطفأت فرحتها ، وهى تسأل جدتها فى عتاب حزين :

- لماذا هذا الكلام الآن يا نينة ؟

وانكفأت بنظراتها على الأرض فى غم واختناق ، ولكنها ما لبثت أن رفعت وجهها إلى جدتها مرة أخرى ، لتقول لها باختناقها :

ـ ما الذى ينقصنى يا نينة ؟ ها أنا أدرس وأتفوّق فى دراستى أكثر من أية بنت تعيش مع أمها وأبيهـا .. وإلـى جـانب دراستى أعمل وأكسب من عملى ما يكفينا أنا وأنت ويزيد .

ـ هذا من فضل الله يا بنتى .. ربنا (عوّاض) .. رزقك بصاحب عمل ابـن حـلال ، لا يشغلك عن دراستك أكثر من ساعتين أو ثلاث فى اليوم .

هنا عادت إلى (نونَة) ابتسامتها الحلوة ، وإذا بعينيها تلمعان بنظرة متيَمة ، وهى تقول لجدتها :

ـ ادعى له يا نينة .

ـ ربنا يحرسه لشبابه ، ويزيده من فضله يابنتى .

رددت (نونَة) من قلبها :

ـ يا رب يا نينة .. يا رب .

وإذا بها فجأة تنتفض هاتفة :

ـ آه .. تأخرت عليه .

دُهشت الجدة :

ـ على من يا (نونَة) ؟

ـ على .. على .. على الباص يـا نينـة .. فليس هنـاك سوى باص واحد يمر من هنا إلى الجامعة .

ـ إذن هيا أسرعى قبل أن يفوتك ..

ـ حاضر يا نينة .

* * *

وانطلقت (نونَـة) تجرى بين الحمـام والمطبـخ وغرفتهـا .. اندفعت تبـدّل ثيابهـا وتضـع مكياجهـا وتجمـع أدواتهـا فـى عجلـة طاغية ، حتى عادت مرة أخرى إلى جدتها ، لتضـع قبلـة خاطفـة على خدها ، انطلقت بعدها مغادرة البيت ..

مضت مهرولة وسط المـروج بمكياجهـا الرقيـق ، وببنطلونهـا الجينـز وتيشرتها الجديدين ، وبحقيبتهـا الجديـدة أيضًا المعلقـة بكتفهـا ، وبأجندتهـا الفـاخرة فـى يدهـا ، وببارفانهـا الـذى يفـوح منها معلنًا عن تفتح وردة جديدة فاتنة فى بستان الأنوثة..

وظهر الطريق الأسفلتى أمام عينيها ، فـإذا بابتسـامتها تسطع فى وجهها ..

لـم يكـن تبسُمها للطريق ، ولا للسـيارة (الأوبـل) الزرقـاء الفاتنـة الواقفة على جانبه ، بل كان لذلك الفتى الوسيم الذى راح

يذرع الطريق بجوار السيارة بخطواته القلقة ، وهو ينظر فى ساعته ما بين خطوة وأخرى ، حتى لمحها مقبلة عليه جريًا بين الزروع ، فتوقف فى مكانه ، مطلقًا نظراته الملهوفة عليها تتلقّاها بقلب مرفرف يكاد يقفز إليها من بين الضلوع من فرط فرحته ولهفته .. وأسرع يأخذ بيدها وهى تصعد الطريق المرتفع عن المروج حتى وقفت بين يديه قائلة وهى تلهث :

ـ آسفة يا حبيبى .. تأخرت عليك .

وكان رده باسمًا :

ـ هذه بشائر دلع الجامعة .

أجابته بفرحتها الغامرة :

ـ دلعى على حبيبى هو الأحلى .

حلق بنظراته الباسمة على وجهها .. بدت كعصفور كناريا شرب من سحر الفجر حتى نصع جمالاً .. نزل بعينيه على قوامها وقد تفجّر فتنة تحت الثياب المحكمة ، فلم يملك إلا أن يبتسم افتتانًا .. فتح باب السيارة وأشار لها بالركوب .. ففعلت .. أغلق الباب ومضى إلى مقعده متحركًا بالسيارة .. تاركًا نفسه لعينى الحبيبة تمرحان على وجهه بفرحتها وشقاوتها الفاتنة مثل

عينيها حتى ارتوت منه ، فالتفتت إلى أشرطة الكاسيت تقلب فيها ، ولكنها سرعان ما تمتمت فى خيبة أمل :

ـ لا شىء يليق بمناسبتنا الحلوة .

فما كان من الفتى إلا أن دس يده فى جيبه ليخرجها بشريط ، وضعه فى الكاسيت ، فإذا بـ (ليلى نظمى) تغرد (من الثانوية للكلية ...) .. فلم تملك (نونّة) إلا أن تهتف فى الفتى بفرحتها :

ـ صباح الفُل يا حبيبى .

وكان رد الفتى ونظراته تنهال عليها بقبلات التهنئة :

ـ ألف مبروك يا حبيبتى .

مدت يدها تمسك بيده :

ـ أنت فرحان لىّ يا (درش) ؟

مط شفتيه مجيبًا :

ـ يعنى .

وكان ردها قرصة قاسية بأصبعيها فى ذراعه ، جعلته يصرخ ألمًا ، بينما هى تعيد سؤالها :

ـ فرحان لىّ يا حبيبى ؟

أسرع ، يجيبها كى ينقذ نفسه :

ـ فرحان .. وحياة (ليلى نظمى) فرحان .

ابتسمت مستريحة ، بينما راح (درش) يفرك مكان القرصة ليخفف من ألمها ، فإذا بحبيبته تميل على موضع القرصة وتقبلها ، ثم تسأله :

ـ ذهب الألم ؟

سطعت ابتسامته وهو يحتويها بعينيه ، ثم مد يده داخل تابلوه السيارة ؛ ليخرج منه علبة كرتونية أنيقة ، ناولها لها قائلاً :

ـ صباح الفُل على أحلى عيون .

نظرت إلى العلبة بدهشة :

ـ ما هذا يا حبيبى ؟

ـ لزوم شقاوة الجامعة .

فتحت العلبة ، فإذا بـ (ووكمان) شديد الأناقة ، جعلها تهتف بفرحة طفولية طاغية :

ـ معقول ؟!

وأردفت بفرحتها العارمة :

ـ شكرًا يا حبيبى .. ألف شكر ..

آه لو تعلم كم كانت نفسى فيه .

وكان رده مبتسمًا :

ـ طلبات نفسك أوامر يا برنسيسة .

وراحت (نونَة) تضع شريط (ليلى نظمى) فى الـ (ووكمان) ، وتضع سماعتيه على أذنيها ، وهى تكاد تطير من الفرحة ، بينما (درش) يبتسم لبراءتها ، فإذا بابتسامته تقطر براءة تفوق براءتها ، بل وتضفى على ملامحه الحلوة سحرًا لا يُقاوم .. كان أشقر ، عذب الملامح .. ترتسم على خده الأيسر شامة بنية تمنحه سحرًا خاصًا .. وكانت له ابتسامة عجيبة ، إذا ما ابتسمها غمرت وجهه كله بالبراءة والعذوبة ، مما جعل (نونَة) تقول له مفتونة ، وهى ترفع السماعتين عن أذنيها :

ـ هذه الابتسامة ، وهذه الشامة هما اللتان اصطادتانى .

وكان رده بابتسامته الساحرة :

ـ أهذا غزل ؟!

وكان رد (نونَة) وهى تملأ عينيها منه ، أن نادته هامسة :

ـ (درش) ؟!

ـ نعم .

ـ أحبك .

ـ ربنا يستر .

دُهشت الفتاة :

ـ ربنا يستر ؟!

ـ نعم .

ـ مم ؟!

ـ من الجامعة ومغرياتها .

وفهمت الفتاة .. أسرعت تحتضن يد حبيبها بكلتا يديها ، وتحتضن وجهه بنظرة جزع تهدر حبًا ، قائلة له :

ـ حبيبى .. هذا العالم بكل ما فيه من بشر لا أرى منه غير ملاك واحد ، حبه يجرى فى دمى .

وخفق قلب الفتى ..

ووثبت نظراته على نونَته تعانقها امتنانًا واطمئنانًا .. ووجد نفسه يقول لها بحنوّه الأصيل فيه :

ـ أجمل ما فيك يا (نونَة) هو أنك تعرفين كيف تحبين .. وكيف تعبرين عن حبك .

وكان رد (نونَة) برهافتها الملائكية :

ـ وحتى هذه يا حبيبى لا فضل لى فيها .. بل الفضل كله لحبك .. حبك هو الذى علمنى كيف أحب .. وكيف أستطعم الحب .. وكيف أعبر عنه .

ازداد قلب الفتى خفقانًا .. ووجد نفسه يهتف فيها بكل جوارحه :

ـ أنت ملاك يا (نونَة) .

وكان رد الفتاة على الفور :

ـ وأنت حبيبى يا (درش) .

وغابا معًا فى عناق طاغ بالعيون .. حتى أفاقت الفتاة على صوت حبيبها يقول لها :

ـ الجامعة يا حبيبتى .

انتبهت إلى أن السيارة تقف بهما أمام بوابة الجامعة ..

التفتت فإذا بمدخلها الضخم ، وقد ازدحم بفلول الطلبة والطالبات المتدفقين عليها فى أول يوم دراسى لهم ، وكأنهم فى

طريقهم إلـى مهرجان العمر .. مهرجـان دعاهم لتأسيس جنـة مستقبلهم فأقبلوا عليه بشبابهم وعزائمهم وزهوتهم وتفاؤلهم ..

وأحلامهم الخضراء مثل قلوبهم .. كـان منظرهم فاتنـا جميلاً يشرح القلب ، مما جعل (نونَة) تحتضنهم جميعًـا بنظراتها فـى حب وانبهار .. وإذا بها تسمع حبيبها يقول لها :

ـ هيا يا حبيبتى .. هيا انزلى إلى كليتك .

التفتت إليـه وقد فـاح فيها إحسـاس عجيب لا مثيل لـه فـى حلاوته وعنفوانه .. إحساس بدا كعطر خرافى يحمل فى جزيئاتـه سحر الأمل وبهجة الحياة .. والتقط حبيبها إحساسها ، فتحركت يداه تريدان أن تضمها فى حضنه ، فما كان من (نونَة) إلا أنهـا سبقته باحتضان يديه قائلة :

ـ حبيبى .. لن أتأخر عليك .. سأطير إليك فى الشركة بمجرد انتهاء المحاضرات .

وكان رد الفتى بحنوّه الجميل :

ـ بل تطيرى إلى البيت .. تأكلين وتنامين وتذاكرين .

ـ والشغل يا حبيبى ؟!

وكان جوابه فى حسم :

ـ اسمعى الكلام يا (نونَة) .

فلم تملك (نونَة) إلا أن تبتسم مطيعة :

ـ أمرك يا حبيبى .

وأسرعت بمغادرة السيارة ، ماضية بيـن الطلبـة فراشـة فاتنـة سكرانة بنشوة حلمها الذى تحقق ، بينمـا فرحـة حبيبها بهـا ، وهو يشيعها بنظراته تكاد تحملها من فوق الأرض ، وتطـير بهـا فى سماء الكون .

* * *

الفصل الثانى

دخل (مصطفى) إلى مكتبه ليجد أباه فى انتظاره .. سطعت ابتسامته الحلوة فى وجهه وهو يبادره قائلاً :

ـ صباح الفُل على أجمل حاج فى الدنيا .

كان الحاج (دياب) جاوز الستين من عمره ، ومع ذلك لم تذهب وسامته .. بل زادتها قداسة الشيخوخة سحرًا وجلالاً ومهابة .. وكان رجلاً عصاميًا حكيمًا مخضرمًا ، بنته سنون الكفاح العصيبة منذ أن كان سايسًا فى جراج حتى صار مالكًا لشركة رحلات تضم أسطولاً من الباصات الفاخرة .. داعب ابنه قائلاً :

ـ ماذا وراء هذه الصهللة ؟

وأجابه (مصطفى) ، وهو يجلس إلى مكتبه :

ـ رضاك يا حاج .

عاد الحاج يسأله وهو يشير بعينيه إلى مكتب (نونَة) الخالى خارج الغرفة :

ـ رضاى أم رضا قطعة الجاتوه ؟

انفلتت ضحكة (مصطفى) الحلوة :

ـ أراهن بنصف عمرى يا حاج أنك فى شبابك كنت مدمنًا لهذا الجاتوه .

وكان رد الحاج محتجًا :

ـ فى شبابى ؟! وهل أنا شخت يا نصف سلندر ؟

انفجر (مصطفى) ضاحكًا :

ـ نصف سلندر ؟ وماذا كنت أنت فى شبابك يا حاج ؟ أربعة سلندر ؟

ـ اسأل أمك الله يرحمها .

ولم يملك الفتى إلا أن يردد وقد خفق قلبه لذكرى الحبيبة الراحلة :

ـ الله يرحمها .

وما كاد يتمُها حتى دخلت سكرتيرته قائلة فى توتر :

ـ أستاذ (مصطفى) !

ـ نعم .

ـ أتوبيس رحلة (الفيوم) لم يخرج من الجراج .. ومنظِّم الرحلة اتصل تليفونيًا ثائرًا .

ـ ولماذا لم يخرج الأتوبيس ؟

ـ سائقه لم يأت حتى الآن ، وتليفونه لا يرد .

انتفض (مصطفى) واقفًا فى عصبية :

ـ فليخرج سائق غيره فورًا .

وكان رد السكرتيرة فى توتر :

ـ للأسف يا أستاذ (مصطفى) .. كل السائقين خرجوا بأتوبيساتهم .

طفح غيظ الفتى على وجهه ، ولكنه سرعان ما هتف فى السكرتيرة فى حسم :

ـ أبلغى منظم الرحلة بأن الأتوبيس فى الطريق إليه .

دُهشت السكرتيرة :

ـ من سيخرج به ؟!

ـ أنـا .

والتفت إلى أبيه :

ـ بإذنك يا حاج .

وانطلق مهرولاً مع السكرتيرة ، بينما الحاج يشيعه بنظرة إكبار ، نهض بعدها متكئًا على عكازه ؛ ليغادر الغرفة هو أيضًا ، فإذا به

يتعثر فى خطواته ، وليكتشف أنه لم يحكم تركيب ساقه الصناعية جيدًا ، عاد يجلس فى المقعد ، كاشفًا الجلباب عن الساق البلاستيكية ، وراح يحكم تركيبها ، ثم نهض مغادرًا الغرفة .

* * *

هذا هو (مصطفى دياب) ..

نموذج للشاب الذى يشتهيه أى أب ، وأى مجتمع ..

شاب اجتمعت فيه كل سمات الرجولة .. من قوة شخصية .. إلى رجاحة عقل .. إلى إحساس بالمسئولية .. إلى دماثة خُلق ..

وكانت هذه الباقة من الصفات كافية لأن تصل به إلى كرسى مدير الشركة .. رغم عدم تجاوزه الخامسة والعشرين من عمره .. ورغم تعليمه المتواضع .. فهو لم يحصل إلا على الإعدادية !!!

نعم الإعدادية !!

وتلك كانت النقيصة الوحيدة المحسوبة عليه فى شخصيته .. نقيصة بدأت جذورها فى الإنبات منذ أن كان طفلاً لم يتخط العاشرة من عمره .. وقتها كان تلميذًا فى المدرسة مع إخوته الثلاثة الذين كانوا يصغرونه ، حين بدأ عزوفه عن الدراسة يعلن عن نفسه .. بدأ بعزوفه عن المذاكرة .. وضعف مستواه الدراسى ، ثم باختلاق الأعذار للتغيب عن المدرسة .. حتى بلغ به الأمر حد إعلانها

صراحة لوالديه وإخوته : إنه لا يحب المدرسة ولا يطيقها .. إنه يحب جراج الشركة ، ويريد أن يعمل به ..

هنا انتبه أبوه إلى أنه بالفعل كان ينتهز أية عطلة مدرسية لينطلق إلى الجراج .. حيث يتحول بين عماله وسائقيه إلى شعلة نشاط ، ويندمج معهم ويسمع لهم ، بل ويطيعهم بطريقة عجيبة .. انتبه الأب إلى ذلك ، ولكن انتباهه جاء بعد فوات الأوان .. فقد كان حرص الطفل على قضاء عطلاته الدراسية فى الجراج قد تحول إلى هروب متعمد ومكرر إلى الجراج .. ليبدأ بينه وبين والديه صراع طويل ومرير انتهى بفصله من المدرسة الإعدادية ، ولينقطع آخر أمل ، وآخر خيط يربطه بالدراسة ..

ويحزن الأب حزنًا شديدًا .. إنه ابنه البكرى وأول حظه .. ومن الطبيعى أن يضع فيه كل أمله .. وأن يحلم بأن يجعل منه أعظم وأنجح ابن فى الدنيا .. ولكن ماذا تفعل أحلامنا أمام سطوة أقدارنا ؟ نفذت مشيئتها على الرجل ، فلم يعد أمامه سوى ضم طفله إلى عمال الجراج ، وقد تحول أمله فيه إلى نوع من القرف والنفور .. وإذا بالأيام لا ترضى بهذا أيضًا من الرجل .. فإذا بها تلفت نظره إلى شىء عجيب فى الطفل .. هذا الطفل يعمل بجدية عجيبة تفوق سنه .. ويعمل أشياء تفوق طاقته وغير مطلوبة منه .. ويشقى نفسه شقاءً قاسيًا فى صمت وجلد .. ويسعى

لتعلم كل شىء فى الجراج أو فى مبنى الشركة .. وأهم من كل ذلك إخلاصه الشديد للشركة وخوفه عليها .. إن مجرد عثوره على مسمار مُلقى فى إهمال يثير حفيظته !! حب وإخلاص وتفانٍ أثاروا دهشة كل من فى الشركة .. ومن هنا انتبه إليه الأب .. انتبه إليه فى دهشة أخذت معها نظرته للطفل فى التبدّل .. ووجد نفسه مدفوعًا إلى ملاحظته .. فإذا بالقرف والنفور اللذين يفصلانه عن ابنه يأخذان فى التحول إلى إكبار وتقرب منه ؛ ليكتشف مع مرور الأيام أنه ظلم هذا الابن .. فلم يكن تعثره فى الدراسة عن غباء فيه أو تبلد منه ، بل كان سببه ذلك الفارق الكبير بين طاقاته العملية وهشاشة نظام التعليم الذى يشبه العجوز فى خطواته الرتيبة المملة .. وها هو الدليل .. الفتى يقبل على قراءة كتب أصعب كثيرًا من الكتب الدراسية .. ويقبل على تثقيف نفسه بنفس جديته فى العمل بالشركة .. وها هى السنوات تمر فيكبر الثلاثة معًا : الفتى وشركته وثقافته ؛ ليجد الحاج (دياب) نفسه أمام مدير ناجح رائع المواصفات ، فلم يتردد فى إجلاسه بمقعد مدير الشركة .

* * *

فتحت (نونّة) باب المنزل لتُفاجأ بـ (مصطفى) واقفًا أمامها محمّلاً بتل من الحقائب البلاستيك والعلب الورقية ، ويسألها :

ـ هل هذا منزل فاتنة (المرج) ؟

وكان ردها فى فرحةً هائلة :

ـ بل منزل فاتنة (درش) .

ودخل الفتى بحمولتـه ، وقادتـه (نونـَة) إلـى جدتهـا .. أنـزل حمولته ، ثم صافحها مقبّلاً يدها ، وجلس إلى جوارها بينما هى ترحب بـه وتغمره بدعواتهـا الطيبـة ، فـى حين وقفت (نونـَـة) ترقبهما بفرحتها ، حتى رفع الفتى .. وجهه نحوها مداعبًا :

ـ لا تقفى مثل المسمار .

أسرعت تجيبه :

ـ أأمرنى يا سى السيد .

ـ أنا جائع .

ـ حالاً سيكون أمامك أحلى عشاء .

وهمت بالانطلاق جريًا ، فأسرع يسألها :

ـ إلى أين ؟

التفتت إليه :

ـ أحضر العشاء .

أشار بعينيه إلى الأكياس والعلب :

ـ العشاء هنا يا برنسيسة .

ووُضع العشاء .. وإذا بالفتى الجائع ينهمك فـى إطعام الجدة العجوز بمنتهى الحنو .. واستوقف ذلك الفتاة .. بدا لها واضحًا أن حنو فتاها أصيل فيه لا يشوبه أى نفاق لها أو لجدتها .. وبدا بحنـوه الأصيل هذا إنسـانًا طيبًا عطوفًا نقيًا مـن أيـة شـوائب خسيسة .. وإذا بصورته كزوج يجمعهما بيت واحـد تقفز أمامهـا .. فإذا به زوج حبيب حنون بشوش .. وإذا ببيتهما جنة .. جنة لا مكـان فيها إلا للحب والـود والسعادة .. وجدت نفسـها تعانقـه بعينيهـا بكل حب الدنيا .. وانتبه الفتى إلى شـرودها تمامًا عن الطعـام ، وقد تسمرت عيناها على وجهه ، فأسرع يسألها باسمًا :

ـ (نونَة) ؟! ماذا هناك ؟

وكان رد (نونَة) نظرة من عينيها سطرت بها كلمة (أحبك) فى وله لا يعرف حدودًا .. وخفـق قلـب حبيبهـا ، وكـاد يختطفهـا فى حضنه لولا وجود الجدة الطيبة .. رفع يده إلـى فمهـا بقطعـة كباب ساخنة قائلاً فى تبسُم حنون :

ـ كلى يا (نونَة) !

وكان رد النونَة بعينيها وشفتيها معنية شيئًا آخر غير الطعام :

ـ أنا شبعانة .. شبعانة جدًا .

وأعلنت الجدة هى الأخرى عن شبعها .. وراحت تدعو للفتى الطيب .. ثم إذا بها تستأذن فى الانصراف إلى النوم .. لقد أثقل العشاء الدسم رأسها .. نهضت ماضية إلى غرفتها..فإذا بـ (نونَة) هى الأخرى تنهض آخذة بيد حبيبها :

ـ تعال .

صعدت به إلى سطح المنزل .. كان سطحًا نظيفًا ، تفترشه حصيرة بلاستيك ، يعلوها خدديتين قطيفتين كبيرتين ، جلس الفتى فوق إحداهما ، بينما غابت عنه حبيبته للحظات ، لتعود مرة أخرى بصحنين كبيرين من الحلويات التى جاء بها وعلب الكولا وأكياس اللب والفول السودانى ، وضعتهما كلها أمامه ، وجلست إلى جواره قائلة :

ـ مرحبًا بحبيبى فى خلوتى المتواضعة .

وكان رد الفتى وعيناه معلقتان بالقمر المكتمل الذى وقف قبالتهما ينثر نوره الشاهى فوق المروج الممتدة أمامهما ، بينما السكون من حولهما يعانق الخلاء المنسم بأنفاس الزرع :

ـ بل خلوة ملكية يا (نونَة) .. لو نالها (نزار قبانى) لملأها تغريدًا بشعره .

دُهشت (نونَة) :

ـ أوتعرف (نزار قبانى) يا (درش) ؟!

طفرت على شفتى الفتى ابتسامة ذكية ثم أجابها :

ـ (نزار) واحد من مجموعة عظماء أحسنوا تربيتى يا (نونَة) .

ازدادت دهشة الفتاة :

ـ أية عظماء يا حبيبى ؟

ـ (نزار قبانى) .. (نجيب محفوظ) .. (إحسان عبد القدوس) .. (أمل دنقل) .. (الأبنودى) .. وغيرهم .. وغيرهم ..

ـ هل تريد أن تخبرنى بأنك قرأت لكل هؤلاء ؟

ـ قرأت لهم .. وارتويت بأحاسيسهم وتعلمت منهم الحياة .

طغت دهشة الفتاة :

ـ أنت يا (مصطفى) ؟!

وفهم (درش) ما تريد أن تقوله فتاته .. عادت إليه ابتسامته الذكية المتواضعة ، وهو يقول :

- عدم إتمامى الدراسة لا يعنى جهلى يا (نونَة) .

غمر الحرج الفتاة :

- آسفة يا حبيبى .. أنا لم أقصد ، ولكن ..

أسرع يقاطعها طارحًا لها سؤالها :

- ولكن لماذا فشلت فى الدراسة ، وأنا عندى القدرة على التعلم ؟

- نعم يا حبيبى .. لماذا ؟

- الإجابة بسيطة يا حبيبتى .. لأنهم فى مدارسنا يفرغون العلوم من الروح والإحساس ؛ فيجعلونها كالأحجار الميتة ، فلا يطيقها البعض .

- كيف ؟

- سأشرح لك كيف .. بفرض أن اثنين من النحاتين قدما لك تمثالاً .. أحدهما وضع التمثال أمامك قائلاً هذا التمثال يجسد فلانًا ، ثم مضى .. بينما جاء الآخر ليكشف لك كل ما فى التمثال من إبداع وعبقرية وجمال وروعة .. بماذا ستشعرين فى الحالتين ؟

- لن أشعر بالتمثال مع الأول .. وسأعشقه مع الآخر .

- بالضبط .. لأن الأول جعلك لا ترين فيه أكثر من قطعة حجر .. وهذا هو ما فعله نظامنا التعليمى بالعلم .. وهو ما لم يستسغه البعض ، وأنا واحد منهم .

- ولكن هذا البعض تقابله أعداد جنونية تملأ المدارس والجامعات .

- هؤلاء ساروا فى الطريق مكرهين من أجل الشهادة .. والنتيجة جيوش من جهلة حاملين شهادات .

فوجئت الفتاة بهذه الحقيقة التى أثارت فيها إحساسًا بالنفور ، ولكنها أسرعت بالتخلص منه هاتفة بخفة ظل :

- أرجو ألا أكون واحدة منهم .

وكان رد حبيبها :

- هذا بيدك .. تعلمى من أجل العلم .. لا من أجل الشهادة ... ولو أردتى الدكتوراه لنلتها .

فوجئت الفتاة :

- الدكتوراه ؟!

- نعم الدكتوراه .

ـ وهـل مـن الممكن أن تقـف أنت بجـوارى إلـى هـذا الحد يا (مصطفى) ؟

وإذا بالابتسامة الطيبة الذكية تضىء وجه الفتـى وهـو يسـألها بحنوه الجميل :

ـ وهل عندك شك فى هذا ؟

وكان رد (نونَة) بدهشتها :

ـ إنه حلم كبير .. وطريق طويل ..

وكان رده وهو يحتضن يديها الصغيرتين بيديه :

ـ وأنا معك يا (نونَة) .. معك إلى أبعد مدى تتخيلينه .

وجدت نفسها تسأله بكل أملها فى الحياة :

ـ أهذا وعد يا (مصطفى) ؟

ـ وعليه شاهد شهادته أقوى من شهادة البشرية مجتمعة .

دُهشت (نونَة) :

ـ من ؟!

رفع عينيه إلى القمر الواقف فوقهما مكتملاً ناصعًا بهيًا ، كأنه يعلن إقراره بشهادته على العهد .. وتعلقت عينا الفتاة به

للحظة ، وكأنها تستشهده .. ثم عادت تنظر إلى حبيبها قائلة بكل ما فى قلبها من خفوق :

ـ لو تخليت عنى يومًا يا (مصطفى) هذا القمر سيبكى بكاءً مرًا .

وكان رد حبيبها بكل وجدانه :

ـ وأنا لن أبكيه يا (نونَة) .. مهما حدث .

ـ مهما حدث يا حبيبى ؟

ـ مهما حدث يا حبيبتى .

وأغمضت الفتاة عينيها اطمئنانًا .. نعم اطمئنانًا ..

فهذا هو كل ما كان ينقصها ..

كان ينقصها السند .. والحارس الأمين .. والحب الحقيقى ..

السند الذى يمنحها قوة الحياة ، ولا يترك للخوف مكانًا فى كيانها ..

والحارس الأمين الذى يفسح لها الطريق ويزود عنها شروره ..

والحب الحقيقى الذى يهبها واحة خاصة بها .. فيها الظل والحماية والأمان ..

كان ينقصها كل هذا .. فإذا بهذا الحبيب الرائع يأتيهـا بـه كلـه داخل حبه .. وإذا بحبه هذا يملأ كل نقص فى وجدانهـا ، فتشعر بنفسها عفية .. قوية .. واثقة من خطاها .. ومن فوزها بكل أحلامها .. مهما شق عليها الطريق ..

لذلك أغمضت عينيها اطمئنانًا وارتـواءً وحمـدًا .. وحينمـا فتحتهما كان وجه حبيبها فى عينيها أجمل من كل وجوه البشر .. بل أجمل من هذا القمر ذاته الواقف فوقهما بكل بهائه .

* * *

الفصل الثالث

لا تدرى (نونـة) كيف وجدت نفسها عضوة فى شلة من زملائها وزميلاتها يقارب عددهم الدستة ..

لم يكن فى هذا شيئًا غريبًا .. ولكن الغريب كان فى ذلك التباين الحاد بين نوعيات أعضاء الشلة .. نوعيـة ملتزمـة جادة فى دراستها .. ونوعيـة فى غايـة الاستهتار .. ونوعيـة تساير النوعيتين بقدر استطاعتها .. وأخيرًا نوعيـة تختلف تمامًا عن النوعيات الثلاث الأخرى .. النوعية المتطرفة التى لا يسلم منها مجتمع .. ويمثلها هنا شخص واحد هو (حسين الزيات) حامل لقب (البعبع) .. وهو لقب لـم يأتـه من فراغ .. إنـه فى حالة صدام موصول مع أعضاء الشلة جميعهم .. صدام على تركهم للصلاة ، وصدام على أزياء الفتيات التى تكشف أكثر مما تستر ، وصدام على كل وسائلهم الترفيهية من حفلات ورحلات وخلافه .. حياته معهم صدام فى صدام .. ولم تكن صداماتهم معه بسبب مطالبه ، بل بسبب فظاظته التى لا تُطاق .. ومع ذلك لم تحاول الشلة يومًا التخلص منـه .. ولـم يحاول واحد من أعضائها أن يسأل نفسه عن سر استبقائهم لـه بينهم ، رغم أن جواب هذا السؤال كان موجودًا بوضوح لمن يريده ، وهو أن صداماتـه

المتواصلة معهم كانت نوادر مضحكة تثير ضحكهم عليه من ورائه ..

هو نفسه كان أشبه بنكتة ضخمة تسعى على قدمين .. فجسده ضخم ، ورأسه ضخم ، وملامحه ضخمة ، وصوته ضخم ، وكأنه صاحب حنجرة (جحشية) قوة عشرة (جحش) ..

ورغم أن (نونَة) كانت تنتمى إلى جماعة الملتزمين دراسيًا ، إلا أنها لم تكن تسلم من صداماته الاستفزازية ، ولكن لأنها كانت الوحيدة فى الشلة التى لا تغتابه ولا تسىء إليه فى ظهره ، فإنها كانت ترفض منه أى نقد لها ، بل وتتصدّى له بمنتهى العنف ، مما كان يوقع بينهما الخصام ، ولكن خصامهما ما يلبث أن ينتهى بحكم الزمالة ، لتعود ريمة إلى عادتها القديمة .. نقد ، فصدام ، فخصام ..

وهكذا صار (حسين الزيات) و(نونَة) مثل (ناقر) و(نقير) ، وصارت (نونَة) بطلة صداماته بلا منازع ، حتى وقعت الواقعة .. لمح (البعبع) غريمته وهى تنزل من سيارة (مصطفى) أمام الجامعة .. لم يكن يعرفه ، ولا يعرف صلته بها ، ومع ذلك بصق عليها ، ومضى داخلاً الجامعة دون أن تراه هى ..

ولكن ما هى إلا ساعة حتى فوجئتْ به الفتاة يقف أمامها ، وهى تجلس مع الشلة فى كافيتريا الكلية ، ويمسحها من أعلى

إلى أسفل بنظرة احتقار أثارت دهشة الجميع وتساؤلاتهم ، وجعلت الفتاة تسأله فى دهشة :

ـ ماذا هناك يا (حسين) ؟!

وجاءها الرد بمنتهى الاحتقار :

ـ هناك سيارات ملاكى (......) فيها ..

هوى اللفظ البشع على الجميع كالصاعقة ، بينما مضى هو مكملاً على الفتاة :

ـ ألا تكفينا البناطيل الحشر حتى نكملها بالسيارات الملاكى .

وانطلقت صرخة (نونَة) مدويّة ، وهى تنتفض واقفة كالصاعقة :

ـ اخرس يا ..

وما كادت تتمها حتى كان (البعبع) يقذف بمذكراته ، ويهم بالانقضاض عليها ، ولكن زملاءها الشباب كانوا أسرع منه .. انقضوا عليه ليوسعوه ضربًا ، وليدب الهرج والمرج فى الكلية ، ولينتهى الأمر بالقبض على الشلة كلها بواسطة حرس الجامعة .

* * *

وعادت (نونَة) إلى (مصطفى) منهارة ، رغم إنصاف عميد الكلية لها بإرغام (حسين الزيات) على الاعتذار لها أمام الشلة كلها .. ولكن (نونَة) اعتبرت هذا ظلمًا وليس إنصافًا .. فقد كانت ترى حقها فى تحويل هذا السفيه إلى لجنة تأديب ، ولكنها ما كانت تدرى أن عميد الكلية ذاته كان يخاف من هذه النوعية.. فقد كانت البلد خارجة لتوّها من عملية اغتيال الرئيس (السادات) ، والتى أثارت ذهول العالم لوقوعها فى عرين الأسد ، وكشفت عن توحش هذه النوعية ، وتركت وراءها سؤالاً أفزع كل مسئول يتبوأ مقعدًا فى البلد ، وهو إذا كانوا قد فعلوا هذا برأس الدولة ، فما الذى يمكنهم فعله بمن هو أدنى ؟

ولم يملك (درش) إلا أن يعمل على تهدئة (نونَته) ، وإخراجها من الموقف برمته .. أخذها فى سيارته ، وانطلق بها إلى كازينو (الليل) ، لتجد نفسها فى جو لم تره من قبل إلا فى أفلام السينما .. غناء ورقص وصهللة ، وناس تعيش فى كوكب آخر ، لا يفتح أبوابه إلا لأصحاب المعالى أصحاب المزاج العالى.

ونجح علاج (درش) .. خرجت (نونَته) من السهرة ناسية ما حدث تمامًا ، ولتجد نفسها تمسك بيد حبيبها ، وهو يقود السيارة عائدًا بها هامسة له :

- شكرًا يا حبيبى .

- على ماذا يا حبيبتى ؟

- على علاجك الناجح معى دائمًا .

ابتسم قائلاً :

- أتعرفين لماذا هو ناجح دائمًا يا (نونَة) ؟

- لماذا يا حبيبى ؟

- لأننى أفهمك أكثر من نفسك .

سرحت فى كلمته قليلاً ، ثم عادت تنظر فى وجهه قائلة :

- لا يمكننى إنكار ذلك يا (درش) ، فالذى ربى خير من الذى اشترى ، وأنا أعتبر نفسى مولودة على يديك .

انفلتت منه دعابته :

- ماذا تعنين يا فتاة ؟ أننى عجوز عليكِ ؟

وجاءه رد الفتاة بنهرٍ من الحب :

- بل أنت كثير علىّ ..

فوجئ بكلمتها ، وأسرع يردها معاتبًا :

ـ لا تقولى هذا يا (نونَة) .

وراح يضغط كفها الصغير فى يده مردفًا من قلبه :

ـ أنت حبيبتى يا (نونَة) .

وجاءه الرد كهمسة كناريا :

ـ وأنت حبيبى يا (درش) ..

وراحت تملأ عينيها من عذوبة وجهه مردفة :

ـ أنت حبيب روحى .. وحبيب قلبى .. وحبيب عينى .. وحبيب كل خلية فى جسدى ووجدانى ..

ومالت برأسها على صدره ، واضعة نفسها فى حضنه ، كعصفور رقيق يستدفئ بأيكه ، بينما حبيبها يحوطها بذراعه الخالية ، يبثها حبه وحنانه ودفئه بسخاء القلوب العاشقة ، حتى وجد نفسه يقول لها بمنتهى الحنو :

ـ لا تسمحى أبدًا لأى موقف أن يهزك .

وكان ردها ، وهى تضغط رأسها أكثر فى صدره :

ـ وما هذا الذى يستطيع أن يهزنى ، وأنا معك يا نور عينى ؟

وأغمضت عينيها على أعذب إحساس فى الوجود .. الإحساس بالأمان .

* * *

رفع الحاج (دياب) عينيه عن طبقه لينظر إلى (نونَة) قائلاً :

ـ (نونَة) ! لماذا لا تأكلين ؟

وأسرعت (نونَة) تجيبه بابتسامة خجلى :

ـ بل آكل يا بابا .

ـ خذى هذه من يدى .

ومد يده لها بـ (ورك) بطة محمرًا ، تناولته منه (نونَة) فى خجل ، بينما أردف هو :

ـ هيا كلى .

ولم يرفع عينيه عنها حتى قضمت من الورك بخجلها ، وهى تختلس النظر إلى حبيبها الجالس إلى جوارها من الناحية الأخرى .. كان الحاج (دياب) كعادته يجلس فى صدر المأدبة الضخمة ، بينما جلست (نونَة) إلى يمينه مباشرة ، يليها (درش) ، ثم (عفاف) طالبة الثانوية العامة ، ثم (صبرى) طالب الطب ، وأخيرًا

(أشرف) طالب كليـة الشرطـة ، وقـد انهمكـوا جميعًا فـى تنـاول غذاءهـم ، لا يعطلهـم سـوى ترحيبهـم مـن آن لآخـــر بضيفتهـم (نونَة) ، والتى جـاءت بدعـوة من الحاج (دياب) نفسه ..

وفرغت العائلة الجميلة وضيفتها مـن تنـاول الغذاء ، فـانتقلوا جميعًا إلى الصالون ، حيث التـف الحـاج (ديـاب) وأولاده حـول ضيفتهم ، يحفُونها بفيض من الحب والبهجـة ، وكأنهـا فـاكهتهم ، حتى وجدت نفسها تدور بعينيها الخجلتين عليهم قائلة :

ـ لا أدرى ماذا أقول لكم .. لقد جعلتمونى أشعر بأنكم أهلى .

وجاءها الرد من الحـاج (ديـاب) الجـالس بجوارهـا ، وهـو يربت عليها فى حنو وعطف :

ـ أنت فعلاً ابنتى يا قطعة الجاتوه .

ومالت قطعة الجاتوه على يد الرجل تقبّلها ، ممـا جعل قلبـه يخفق لها بمنتهى الحب ، وكأنها فلذة كبده ، وإذا به يقول لها :

ـ شدّى حيلك ، وخذى شـهادتك ، كـى تتزوجى هذا الولـد ، وتأتيانا بـ (دياب) الصغير .

وفوجئ الجميع ، وأسرعت (نونَة) تضع عينيها فـى الأرض خجلاً ..

وإذا بتليفون من الشركة يستدعى (مصطفى) لظروف العمل ، فأسرع يستأذن حبيبته فى الانصراف قائلاً :

ـ عندما تملّين من هذه العائلة خذى تاكسيًا ، وعودى إلى البيت .

أومأت (نونَة) برأسـها مطيعـة ، فـانطلق حبيبهـا إلـى عملـه تشيعه نظرات حبيبته بالقبلات .

وارتوت القطة الجميلة البريئة حبًا وحنانًا وسعادة ..

وخرجت إلى الشارع بروائها ..

وجدت نفسها تسير بمفردها علـى كورنيش المعـادى .. حيث راح النيل يمتد على يمينها فى وداعة ورقة ، تاركًا نفسه لشمس الأصيل الواقفة على بوابتها الغربية تغازلـه بحمرتها الأرجوانيـة الفاتنة ، وكأنه يعز عليها فراقه حتى الشروق الجديد .. وكـانت نسمات الغروب تـأتى مـن فوق النهر المسترخى ليّنة رطبـة ، تنعش الروح .. وكان الكورنيش كطبيعته فى مدخل (المعادى) هادئًا ، شبه خاليًا من المارة ، مما جعـل القطـة المرتويـة تعيش مع نفسها وهى تسير عليه وحيدة .. وانسابت خواطرها تحمـل دهشتها :

ـ معقول يا (نونَة) ؟!

معقول كل هذا الحب ؟!

كل هذا الدفء ؟!

كل هذا الحنان والأمان ؟!

معقول ؟!

أنت فقط التى تعرفين مذاق ما أنت فيه الآن ..

أنت فقط التى تعرفين مدى حلاوته ..

وهل هناك من يقدّر حلاوة الشهد مثل من تجرع المر ؟

نعم المر ..

وأى مر ؟!

مر اليتم والوحدة والفقر ..

مر الخوف والإحساس بالضعف ..

مر الحاجة والجوع والشقاء المضنى المهين من أجل لقمة العيش لا أكثر ..

أين أيام كنت تقفين فيها على قدميك أكثر من عشرين ساعة يوميًا فى نادى (الشمس) ، تخدمين فيها رواده .. أولاد الحلال

منهم وأولاد الحرام ، حتى ساقك قدرك إلى مائدة (مصطفى) فى النادى ، دون أن تدرى لحظتها بأنك مُساقة إلى سعدك ؟

أين ليالى طويلة نمتها جائعة قبل أن تعملى بالنادى ؟

وحتى بعد أن عملتى به ، أين ليالى لا تُعد ولا تُحصى نمتها بلا عشاء من شدة الإجهاد ؟

وأين دموعك لعدم وجود ثوب وحذاء يستَرانك بدلاً من اللذين تمزقا ؟

وأين زحمة المواصلات التى كانت تفتت عظامك ؟

وأين ؟

وأين ؟

وأين ؟

أين ذهبت بكل ذلك أيتها الأيام ؟ أين ؟

ومن أين جئتى بكل هذا الشهد من بعد كل هذا المر ؟

يااه لك أيتها الأيام العجيبة حين تتعطفين بالابتسام من بعد عبوس ! يااه لفتنة ابتسامك .. وحلاوة رضاكِ .. وسعد صفائك .. يااه .. وألف يااه ..

* * *

الفصل الرابع

تلقّى (مصطفى) نونته فى حضنه ، وكأنه يتلقّى فرحة عمره الساقطة من السماء ..

فرحة تحمل نور الدنيا .. وروعة الحياة .. وسكرة الفرح ..

فرحـة بطـول الكـون .. وعرضـه .. وارتفاعـه .. وربمـا فاقتـه اتساعًا ..

نجحت حبيبته فى البكالوريوس بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف ..

حملها بين ذراعيه ، وانطلق يدور بها فى الهواء ، بينما هـى باسطة ذراعيها على آخرهما كجناحين عفيين ، مشرئبة بوجهها المتضرج بجنون فرحتها إلى السماء .. تريد أن تطير بين نجومها .. تقبّلها نجمة نجمة .. وتشكرها نجمة نجمة على روعـة صحبتها طـوال آلاف من ليالى المذاكرة الشاقة .. تريد أن تأخذ القمر فى حضنها .. تعتصره .. تهمس له : «شكرًا .. شكرًا .. شكرًا » .. تريد أن تنثر قبلاتها علـى أهل الأرض أجمعين .. تـرش عليهم سعادتها .. تمطرهم برحيق فرحهـا .

وجاءها نداء حبيبها يذكّرها بوجوده معها :

ـ نونَة !

أسرعت تجيبه :

ـ أنزلنى !

أنزلها واقفة بين يديه ، فإذا بها تقول له :

ـ هيتُ لك ..

فما كان منه إلا الطيران بها إلى أبيه ..

دخل عليه صالون الشقة وهى فى يده ، هاتفًا بفرحته الهائجة :

ـ حاج (دياب) ! إسمح لى أن أطلب منك قطعة الجاتوه هذه .

ولم يتمالك الحاج (دياب) ابتسامته .. نهض من مقعده آخـذًا النونَة فى حضنه ، سائلاً ابنه :

ـ وما مهرها ؟

وكان رد الفتى بسرعة :

ـ مهرها قلبًا نقيًا يمتلئ حبًا لها .

التفت الرجل إلى النونَة المستكينة فى حضنه ، يسألها جوابهـا بعينيه الخبيرتين ، وكان جوابها إيماءة رضا .. فما كان من الأب إلا أنه عاد ينظر إلى ابنه قائلاً :

ـ شقتكما جاهزة .. زفافكما الخميس القادم .

وكاد يحدث ما لا يُحمد عُقباه ..

كاد الفتى يرفع أباه ونونَته معًا بين ذراعيه ، ويدور بهما فى الهواء .. لولا أن أشقاءه الثلاثة سبقوه بالانقضاض عليه ، وراحوا يمطرونه بقبلاتهم ، ثم راحت شقيقتهم تطلق زغرودة مغردة عفية طويلة .. هى أول زغرودة تُسمع فى الشقة منذ وفاة والدتهم قبل سبع سنوات تقريبًا .

* * *

واستقبلت شقةَ العُرس العروسين .. عروسان يشعّان جمالاً وشبابًا وبهاءً وسعادة .. عروسان جاءا على جناح النجاح والطموح والإرادة ، فإذا بأيامهما وردية هنية شهية بطعم الشهد ، ومستقبلهما مفتوح أمامهما ، كطريق بستانى مفروش بباقات الورود والوعود ..

وقبل أن يمضى شهران على عرسهما ، كانت النونَةَ تقول لعريسها وهى تتوسد صدره برأسها فى فراشهما :

ـ حبيبى !

وأجابها حبيبها وهو يطوقها بذراعه :

ـ نعم .

ـ آن وقت الجد .

ـ أى جد ؟

ـ الماجستير .

فهم حبيبها :

ـ وما الذى يعطلك ؟

ـ فى الأمر ما يحتاج إلى إذنك .

ـ ما هو ؟

سكتت قليلاً متدبرة كلماتها وهى تسرى بأصابعها على صدره ، حتى عادت تقول فى رقة وتأن :

ـ أنا عارفة يا حبيبى مدى لهفتك لأن تكون أبًا .. ولأن يكون معنا بيبى يزيد سعادتنا .. لكن المشكلة أن حضرته سيأتى بمشاغله ، وسيحتاج إلى جهد ووقت .. والدراسة ستحتاج إلى تفرّغ .

وفهم (مصطفى) ..

فهم وفوجئ بهذا الخيار الذى لم يعمل له حسابًا ..

طموح حبيبته ومستقبلها فى كفة ..

وأبوته وأمومتها فى كفة ..

الأولى يريدها لأنه يريد حبيبته نجمة فى السماء كما وعدها ..

والثانية يتلهّف عليها ، ويصعب عليه التضحية بها ..

يا له من خيار لم يخطر له ببال .. ولكن لماذا هذا الخيار من الأصل ؟ ما الذى يمنع الفوز بالاثنين معًا ؟

هل كان حتمًا على كل من شاءت السير فى طريق الماجستير أو حتى الدكتوراه أن تدفع هذا الثمن ؟

وهم بأن يطرح سؤاله على حبيبته فى رفق لولا أن خاطرًا أسرع بمنعه .. فلربما فسرت تساؤله بأنه أنانية منه .. أو ارتدادٌ عن وعوده لها .. أو جهل بطبيعة ومشقة الطريق الذى تريد السير فيه .. ثم إنها تطلب منه الإذن .. وهو ما يعنى أنها فكرت ودبرت وقررت .. إذن فلا جدوى من الجدل وهما ما زالا فى أول الطريق ..

وإذن فالخيار محسوم ..

انتبه إلى صوت حبيبته تستدعيه من شروده :

ـ حبيبى .. أين ذهبت ؟

وجاءها جوابه حانيًا :

ـ معك يا حبيبتى .. معك ليس فقط حتى الماجستير .. بل حتى الدكتوراه .. ولا إنجاب قبل أن تأتينى بها .

وكان رد الحبيبة الفاتنة أن أسرعت باعتصاره فى حضنها ، هاتفة بكل فرحتها :

ـ شكرًا حبيبى .. شكرًا يا أعظم وأروع وأجمل حبيب فى العالم .

وجاءت طرقات خفيفة بباب الغرفة .. إنها الخادمة تخبرهما بحضور مالك بيت كفر الباشا لتحصيل الإيجار .. فما كان من (نونَة) إلا أنها التفتت إلى حبيبها قائلة :

ـ ولماذا الإيجار ؟ لقد توفيت جدتى ولم نعد فى حاجة إلى البيت .

وكان رد حبيبها أن أخذها من يدها وخرج بها إلى الرجل فى الصالون .. وإذا به يبادره قائلاً :

ـ حاج (صابر) .. ألا تريد بيع هذا البيت ؟

وفوجئت (نونَة) .. بينما جاءه رد الحاج (صابر) فى أدب :

ـ لا يغلو عليك يا أستاذ (مصطفى) .

ـ كم تريد فيه ؟

فكر الرجل قليلاً ، ثم أجابه :

ـ لقد سبق تثمينه بسبعين ألف .

ـ وأنا سأزيدك عليه عشرة .

وفى لحظات كانا قد وقّعا عقود البيع ، وأخذ الحاج (صـابر) نقوده .. وما إن انصرف حتى أسرعت (نونَة) تسأل حبيبها فى دهشة :

ـ ما هذا الذى فعلته يا حبيبى ؟

وكان جوابه باسمًا :

ـ اشتريت بيت الحاج (صابر) .

ـ لمـاذا ؟

نظر فى عينيها مبتسمًا مفتونًا بلونهما ، ثم أجابها :

ـ لأن هذا البيت أهدانى هدية لم ولن تتكرر على ظهر الأرض ..

فما كان من زيتونية العينين إلا أنها منحتـه عينيها ينهل مـن فتنتهما كيف يشاء ، وهى تسأله :

ـ أتحبها إلى هذا الحد يا (درش) ؟

وكان رد (درش) وهو يحلّق بنظراتـه علـى وجههـا مفتونًـا بحسنها :

ـ أعبدها .

ـ إذن طر بها إلى الجامعة غدًا !

ووضعت نفسها فى حضنه ، متوسدة صدره برأسها ، مرتويـة بكل هناء الدنيا ونشوتها .

★ ★ ★

وبدأ الطريق إلى الدكتوراه ..

طريق طويل .. طويل .. طويل ..

طريق طوله آلاف الأيام .. والليالى ..

ومشـقته تُقـاس بـآلاف اللترات مـن الـدم الـذى احـترق جهـدًا وتفكيرًا وشد أعصاب .

وتكلفته تحسب بخسـارة أشياء لا تُعوض .. وبضغوط قاتلـة اعتصرت الأعصاب عصرًا .

فحتى الأهل .. والد (مصطفـى) وإخوتـه تحولـوا إلـى ضغط لايُطاق .. لقد فوجئوا بحكاية تـأجيل الإنجـاب لحين حصـول (نونـَة) على الدكتوراه .. فكانت صدمة فجّرت استنكار الإخوة وثورة الأب .. فقد كان الرجل يتوق إلى رؤية حفيد له قبـل أن يدركـه الأجـل .. وكان يعد الأيام عدًّا منذ الليلة الأولى لزواج ابنه .. حتى اكتشـف

مخططه هو وزوجته .. فكانت صدمته وثورته التى نالت كثيرًا من مكانة (مصطفى) فى قلبه ، وغيّرت أكثر من نظرة الرجل لابنه بعد كل هذا العمر من الإكبار والاعتزاز .. وفى النهاية لم يجد الرجل بديلاً أمامه لتحقيق أمنيتـه قبل أن يوافيـه الأجل إلا الإسراع بتزويج أبنائه الثلاثة الآخرين تباعًا .. حتى أنه لم يتوقف كثيرًا أمام اختياراتهم .. وكان ذلك أكبر ثمن دفعه الفتى ضمن فاتورة طموح حبيبته ..

ومع ذلك لم يكل ..

ولم يتراجع ..

ولم يفتر حماسه وتشجيعه لنونتَه .. بل إنه جعل من نفسه حائط صد يزود عنها كل الزوابع التى ثارت من حولهما .. ووضع نفسه فى ظهرها وفى خدمتها بإخلاص لم يتوفر قط ، حتى لابنة فى قلب أبيها .. وهو ما جعلها تمضى فى طريقها مرتاحة البال .. صافية الذهن واثقة الخطوة .. حتى اقتنصتها ..

نعم ..

اقتنصت (نونَة) الدكتوراه ..

اقتنصتها اقتناص أسد هصور لفريسة طالت مطاردتها ..

وحينما أعلنت لجنة الأساتذة فى القاعة المزدحمة منحها درجة الدكتوراه بعد مناقشة حامية الوطيس ، كانت (نونَة) بالروب الجامعى الأسود الجليل تتحول فى التو واللحظة إلى ملكة لا يكفيها عرش الكون مقامًا .. وفى نفس اللحظة كانت تتفكك من بعضها وتذوب حتى فقدت السيطرة على نفسها تمامًا ، فتسمرت فى مكانها وهى تجيل بصرها الذاهل على الوجوه فى القاعة التى اهتزت تصفيقًا وهتافًا ..

إنها لا ترى وجهًا واحدًا منها من غشاوة الدموع التى انطلقت من عينيها تحمل حممًا متقدة كانت حبيسة الأعماق ..

وتحمل ذهولاً عاتيًا جبارًا لا يحتمله قلب ولا عقل ولا كيان ..

وتحمل فرحة .. لو تمددت ما ساعها الكون طولاً ولا عرضًا ولا اتساعًا .

تلك كانت الملكة المتوّجة التى طالت قامتها السماء فى هذه اللحظة ..

أما الجندى المجهول الذى صنعها ، وتوّجها ، ورفعها على هذا العرش ..

الجندى العظيم الذى أفنى نفسه فى رعايتها وخدمتها ..

الجندى الأصيل صاحب الفضل الحقيقى فى هذا الإعجاز ..

الزوج الحبيب ..

فقد راح من نفسه هـو الآخر .. وقـف فـى مقدمـة المصفقين والمهللين يحدق فى نونته ..

مذهولا ؟ .. لا يدرى ..

فرحان ؟ لا يدرى ..

غير مصدق ؟ لا يدرى ..

ماذا عليه أن يفعل الآن ؟

لا يدرى ..

فقط تحليق بنظراتـه الجاحظـة الذاهلـة على حبيبتــه ، حتـى أنقذته هى .. فإذا بها تتقدم منه بابتسامة مبللة بدموعها .. وإذا بها تـأخذ بيده وتعود بـه إلـى مكانهـا أمـام الأســاتذة وجمهـور الحاضرين ، لتخـاطبهم جميعًـا قائلـة بصوتهـا الذاهل المتهـدج ، وهى تعانق حبيبها بعينيها الدامعتين :

ـ لولا هذا الرجل ما وقفت أمامكم هذه الوقفة ..

ومالت على يده تضع قبلة ما خرجت قط من شفاه بشر .

* * *

الفصل الخامس

قاد السكرتير الدكتـورة (ناديـة) إلـى مكتب الوزير ، لتفاجـأ باستقبال دافئ من الرجل ، دعاها بعـده إلـى الجلوس .. ثم راح ينظر فى ملفها المفتوح أمامه على المكتب .. ومـا لبث أن رفـع وجهه نحوها قائلاً فى وقار :

ـ برافو دكتورة (نادية) .. أحسنتى اختيار موضوع رسـالتك .. الأولويـة فـى (مصـر) والعـالم كلـه الآن للاقتصـاد .. واسـاليب جذب الاستثمار الخـارجى التـى تناولتيهـا فـى رسـالتك فـى غايـة الأهمية .. وكنا فى أمس الحاجة إليها .

وكان رد الدكتورة :

ـ شكرًا يا أفندم .. تقدير معاليك هذا وسام على صدرى ..

ـ طلباتك يا دكتورة .

ـ الحقيقـة يا أفندم أنه من لحظة حصولى على الدكتوراه وأنـا أملى أن أسـهم مع معاليكم فى نهضة اقتصـاد (مصر) من خلال وضـع الاسـاليب التى تناولتها فى رسالتى موضع التطبيق ..

ـ هذا بيدك يا دكتورة .. سأصدر فورًا قرارًا بإنشاء قسم متخصص فى مجال بحثك تتولين أنت إدارته .

- شكرًا يا أفندم .. وأنا أعد معاليك بأن أبذل أقصى ما بوسعى كى أكون جديرة بثقة معاليكم .

- ربنا يوفقك يا دكتورة .. وسلامى للحاج (دياب) ..

ونهضت الدكتورة مصافحة الوزير ومنصرفة .. انطلقت بسيارتها وفرحتها قاصدة حبيبها فى الشركة .. ولكن مكالمة جاءتها على الموبايل أوقفتها فى منتصف الطريق !!

مات الحاج (دياب) ..

سقط عامود العائلة مخلّفًا وراءه فراغا هائلاً قاسيًا ، لم يسلم منه أحد من أبنائه .. ولكن نصيب (مصطفى) منه كان مضاعفا لأنصبة اخوته .. وزاد عليه إحساسه المرير بالذنب تجاه أبيه الحبيب الراحل لحرمانه من حفيد له منه ، والذى بعث فى داخله إحساسًا بالمرارة لازمه حتى وفاته .. ولم يخفف منه مجىء أربعة أحفاد من بقية أبنائه .. فقد كان (مصطفى) وحده فى قلب الرجل شيئا .. وبقية إخوته شيئًا آخر .. لذلك أخذت غلطة (مصطفى) فى قلبه حجمًا أكبر من حجمها .. ومات دون استدراك من ابنه لهذه الغلطة ..

وها هو الابن يدفع الثمن .. ها هو يتجرّع إحساسًا سامًا مريرًا زعافًا لا يرحمه .. وكان طبيعيًا أن يطفح ذلك كله على حالته النفسية .. فصار لقمة مستساغة للحزن والعصبية ..

وهنا جاء دور الزوجة الحبيبة ..

ها هو أول اختبار لها تجاه حبيبها .. اختبار فجّر فيها إحساسها بالواجب نحوه كحبيبة قبل أن تكون زوجة .. أسرعت تستدعى كل عواطفها ودفئها وحنوّها لتغمره بهم ؛ ولتملأ بهم ذلك الفراغ اللعين الذى خلّفه رحيل الأب .. ولتخمد به ذلك الإحساس البغيض بالذنب الذى ينهشه ؛ ولتطوّق بهم هذا الحزن الشيطانى الذى يريد أن يخطف حبيبها منها ..

ثم عرجت على إحساسه بالمسئولية .. أكثر أحاسيسه صلابة وقيمة .. واندفعت ترد فيه الروح ، وتعيد إليه توهجه وحيويته..

ونجحت الزوجة الذكية .. ليس فقط فى انتشال زوجها من براثن أزمته .. بل وفى إفاقته على حقيقة كادت تتوه منه فى خضم مشاعره السوداوية .. وهى أنه صار عمود العائلة .. ولم يعد من حقه أبدًا أن يهتز أو يضعف أمام عاصفة مهما تجبّرت ..

ولم تترك الزوجة زوجها الحبيب إلا وهو يتبوأ مكانه ككبير للعائلة ، وكمدير ناجح للشركة العملاقة التى تحفظ للعائلة مكانتها .

لم تتركه إلا وقد عاد الرجل القوى الحكيم المتوهج .. القادر على احتواء الدنيا بأسرها فى صدره ..

* * *

وتسلمت الدكتورة (نادية) عملها فى الوزارة كمدير لإدارة جذب الاستثمارات الخارجية تحت إشراف الوزير نفسه .. وكان أول مطلب لها من معاونيها هو موافاتها على وجه السرعة بقائمة المستثمرين العرب والأجانب الذين تراجعوا عن تنفيذ استثماراتهم فى (مصر) ، وملفات وافية عن ظروف تراجعهم ..

وجاءتها الملفات لتنكب على دراستها لما يقرب من شهر .. أسرعت بعده بالاجتماع بالوزير ، لتضع أمامه كوم الملفات ، مخالفة بذلك ما جرى عليه العرف من تقديم خلاصة لدراستها ، أو ملخص لمحتواها .. مما أثار دهشة الوزير ، وجعله يسألها بدهشته :

ـ ما هذا يا دكتورة (نادية) ؟!

وكان ردها فى هدوء :

ـ ملفات المستثمرين العرب والأجانب الذين تراجعوا عن الاستثمار فى (مصر) يا معالى الوزير ..

دُهش الوزير :

ـ كل هؤلاء ؟!

ـ للأسف يا أفندم .. نعم .

امتدت يد الوزير تستعرض الملفات .. وجد نفسه يتوقف أمام بعض الأسماء فى دهشة جعلته يقطب جبينه مرددًا :

ـ معقول !

لماذا والحكومة كل يوم تقدم لهم تسهيلات جديدة ؟

وكان رد الدكتورة فى بساطة :

ـ لأن الحكومة تبعث لهم بهذه التسهيلات عبر عشرات من الأسماك الجائعة .

دُهش الوزير :

ـ أية أسماك يا دكتورة ؟

ـ الوسطاء وموظفو الإجراءات الروتينية فى مختلف القطاعات .

ورفعت الدكتورة خصلة شعر تهدلت فوق عينيها ، ثم مضت فى حديثها للوزير :

ـ تخيَّل معاليك حال رجل الأعمال الوافد مستبشرًا بالتسهيلات التى أعلنتها الحكومة ، وقد وجد نفسه مضطرًا للتعامل مع عشرات الموظفين أصحاب الأدراج المفتوحة ، والحيل الشيطانية فى تعقيد

الأمور بغرض الابتزاز .. ثم مع جيش من وسطاء يرفعون لـه ثمن كل عنصر من عناصر مشروعه إلى الضعف .. ليكتشف فى النهايـة أن تسهيلات الحكومة هذه ما هى إلا نكتة تثير القـرف لا الضحك .. ولا يجد أمامه حلاً إلا الإسراع بالعودة من حيث أتى .

لم يكن فى الحديث جديد أو غريب ، ومع ذلك أثار فى نفس الوزير شعورًا بالإحباط والحيرة .. وجد نفسه يسأل الدكتورة بحيرته :

ـ والحل يا دكتورة ؟

ـ الحل طارح نفسه يا معالى الوزير .

ـ كيف ؟

ـ نجنب المستثمر الوافد كل هذه الأسماك الجشعة .

ـ كيف ؟

ـ بأن نتيح له التعامل مع الوزارة مباشرة .

فوجئ الوزير .. وجد نفسـه يبتسم وكأنـه فوجئ بشـىء من السذاجة فـى اقتراح الدكتـورة .. وأرجـع ذلـك علـى الفور لتلك الحماسة الأولية التـى تصيب أى صاحب منصب جديد ، والتـى تتضاعف بـالطبع عند المرأة بحكم طبيعتهـا التـى لا تخلـو مـن السذاجة .. ومن هنا كان رده عليها فى رقة وتبسم :

ـ الوزارة لوضـع السياسـات ، وليست للتعامل مع الجمهور يا دكتورة (نادية) .

وكان رد الدكتورة (نادية) بنفس ثباتها ، وكأنها لم تـر ابتسامته ، ولم تدرك مغزاها :

ـ رجـال الأعمـال لم يعـدوا جمهورًا يا معالى الوزير .. لقد صاروا ـ بحكم الطابع الاقتصادى الذى دمغ العالم ـ جزءًا من أنظمة الحكم .. وإذا كـان حكام العالم أنفسهم قد فتحوا لهم أحضـانهم ، ووضعوهم فى دوائر صنـع القـرار ، فالأولى بالوزارات أن تضع نفسها فى خدمتهم طالما كان ذلك فى صالح البلاد ..

ـ هذا صحيح يا دكتورة .. ولكن وفق نظم ولوائح نحـن ملزمون بها ..

ولكنه ما لبث أن وجد نفسه يسألها :

ـ ما المطلوب يا دكتورة ؟

ـ أن تمنح معـاليك إدارة جذب الاستثمارات صلاحيـة التعامل المباشر مـع المستثمرين لدراسـة مشـروعاتهم .. وفـى حالـة اطمئنانها لجدوى هذه المشروعات تبدأ إجراءات تنفيذها بتأشيرة معـاليك بالموافقـة .. علـى أن يتولـى بقيـة مراحل تنفيذهـا لـدى الجهات المختصة ممثل عن الإدارة .

هكذا بلغت الدكتورة مأربها .. ولم يكن مأربًا هيّنًا .. إنه ببساطة يعنى منح إدارتها صلاحيات مطلقة فى التعامل مع المستثمرين الوافدين على مسئولية الوزير .. وهو ما ينطوى على مجازفة كبيرة .. ولكن منطق الدكتورة قوىٌ .. وإغراء النجاح فى جذب هؤلاء المستثمرين أقوى ..

ثم إن الدولة من قمة رأسها تبذل كل الجهد لجذبهم واحتضانهم .. فما الذى يقلقه طالما أن هذا يعضّد مساعيها ..

الاقتراح فيه خير كثير ..

ولا يحتاج إلا لإذن من أعلى ..

ووجد الوزير نفسه يتطلع إلى الدكتورة بنظرة طويلة ، ثم يقول لها :

ـ وافنى بدراسة مكتوبة عن الموضوع يا دكتورة .

وفهمت الدكتورة .. وسطع تبسمها فى وجهها ، وفى عينيها الزيتونيتين الفاتنتين وهى تجيبه :

ـ أمرك يا أفندم .

* * *

الفصل السادس

نهض (مصطفى) من خلف مكتبه مرحبًا بزائريه فى حرارة وبشاشة :

ـ أهلاً .. أهلاً ..

كان زائراه هما شقيقه طبيب القلب الدكتور (صبرى دياب) وزوجته الدكتورة (هند) .. صافحا (مصطفى) وهما يردان تحيته ، ثم جلسا ، بينما راح (مصطفى) يواصل ترحيبه بهما وهو يعاود الجلوس خلف مكتبه الضخم :

ـ ما هذه المفاجأة الحلوة ؟

وكان رد الدكتور (صبرى) مداعبًا :

ـ ماذا نفعل وقد صار العثور عليك أصعب من العثور على (بن لادن) ؟

ضحك (مصطفى) مجيبًا فى شبه اعتذار :

ـ غصب عنى يا دكتور .. الشركة تلتهم كل وقتى .

ـ وما أخبارها ؟

ـ الحمد لله أخبار حلوة .. الأسبوع الماضى اشترينا أربعة أتوبيسات مرسيدس جديدة بـ 16 مليون جنيه .

ضرب الانبهار الزوجة الشابة :

ـ 16 مليونًا !!

التفت إليها (مصطفى) قائلاً فى زهو يفيض بالسعادة :

ـ ما هذه إلا خطوة فى خطة الشركة يا دكتورة (هند) .

وتدخل الدكتور (صبرى) :

ـ أية خطة ؟

ـ أن تكون شركة (دياب) أكبر شـركة نقـل سـياحى فـى (مصر) .. وفى خلال عامين على الأكثر .

بدا الارتياح علـى وجـه الدكتـور (صـبرى) .. والتفت إلـى زوجته يقول لها شيئا ما بعينيه ، فأجابته بنظرة فهمها .. فالتفت مرة أخرى إلى شقيقه قائلاً :

ـ هذه الأخبار الحلوة تشجعنا على الحديث فيما جئنا بشأنه يا (درش) .

ـ أخبرانى بما تشربانه أولاً .

أجابه الدكتور طـالبًا قهوة مضبوطة ، بينمـا طلبت زوجتـه (كولا) .. وأبلغ (مصطفى) سكرتيرته بالطلبـات فـى الديكتـافون ، ثم التفت إلى شقيقه يسأله فى بشاشة :

ـ خير يا دكتور ؟

أطرق الدكتور قليلاً باحثًا عن البداية المناسبة لموضوعه الذى جاء به .. وعندما وجدها رفع وجهه نحوه شقيقه قائلا :

ـ أنـت تعلم يا (مصطفى) أن حلم حياتى منذ أن تخرجت مـن كلية الطب هو أن ابنى مستشفى استثمارى .. ولكن هـذا الحلم كان مؤجلاً لوقته المناسب .. أى لحين كسب الخبرة اللازمة مـن ناحية ، وعمل اسم لى كطبيب من ناحية أخـرى .

وكان رد (مصطفى) فى زهو :

ـ والحمـد لله حققت الاثـنين يا دكتـور ، وصـار اسم الدكتـور (صبرى) فخرًا للعائلة كلها .

سطع الاطمئنان فى وجه الدكتور ، فمضى قائلاً :

ـ لذلك حان وقت تنفيذ الحلم يا (درش) .

وكان رد شقيقه فى إخلاص :

ـ طبعًا يا دكتور .. ونحن جميعًا معك .

التفت الدكتور إلى زوجته متبادلاً معها النظرة إياها ، ثـم عاد يقول لشقيقه :

ـ وهذا هو ما جئتك فيه يا (درش) .

ودخل الساعى بالمشروبات .. ووضع أمـام كل منهم مشروبه وانصرف .. فالتفت (مصطفى) إلى شقيقه قائلاً بلهجته الراقيـة :

ـ تحت أمرك يا دكتور .

ارتشف الدكتور قهوته ، ثم أعاد الفنجان إلى مكانه قائلاً :

ـ طبعًا يا (درش) أنت عـارف أن مشروع المستشفى مشروع ضخم ، ويحتـاج إلى أمـوال فلكيـة .. ومـن الصـعب جدًا أن يقوم به طبيب بمفرده .. ومن هنا رحت أبحث بكل طاقتى عن حل حتى وجدته .. وهو أن أشترى أنـا الأرض ، ثـم أدخل بها كشريك مـع مجموعـة من الأطبـاء ، يتولـون بنـاء المستشـفى وتجهيزه .

وكان رد (مصطفى) فى إعجاب :

ـ برافو .. حل هائل .

وجد الدكتور نفسه يتبادل نفس النظرة مع زوجته ، قبل أن يعود إلى شقيقه مواصلاً حديثه :

ـ يبقى ثمن الأرض يا (درش) .

ـ وهل وجدت الأرض ؟

ـ نعم .. وجدت قطعة ممتازة ، مساحتها ألفا متر تقريبًا على كورنيش المعادى .

ـ برافو .. وكم ثمنها ؟

ـ ثمانية ملايين جنيه .

فوجئ (مصطفى) بالرقم .. تردد قليلاً قبل أن يسأل شقيقه :

ـ أليس كثيرًا يا دكتور ؟

ـ بالعكس .. إنها فرصة .. فأنت تعلم جيدًا قيمة الأرض على الكورنيش .

أومأ (مصطفى) برأسه مؤمنًا :

ـ نعم .. أعلم ..

ثم عاد يسأله :

ـ وكم معك من المبلغ ؟

ـ لا شىء .

دُهش (مصطفى) :

ـ لا شىء ؟! إذن من أين ستأتى بثمنها :

هنا بدا شىء من الارتباك على وجـه الدكتور ، جعلـه يلتفـت إلى زوجته ، فإذا بنظرة منها عجيبة فى تحريضها تطيـح بارتباكـه على الفـور ، وتجعلـه يلتفـت إلى شـقيقـه قائـلا :

ـ من نصيبى فى الشركة يا (مصطفى) !

آه ...

هذا هو إذن بيت القصيد من الزيارة الميمونة !

وهذا هو تفسير تلك النظرات التى لم تنقطـع بين الدكتـور وزوجتـه منذ أن دخلا المكتب ..

تسمّرت عينا (مصطفى) على وجه شقيقه فى سكون يصـرخ بوقـع الصدمـة .. وأطبق الصمت علـى الثلاثـة .. بينمـا تعلقـت عيون الزوجين ببعضها فى نظرة طويلة .. التفت بعدها الدكتـور (صبرى) إلى شقيقه يسأله فى برود يغيظ :

ـ ها يا (درش) .. لم أسمع جوابك .

ولم يجبه الرجل بشـىء .. لـم يتفـوّه بحـرف .. بـل راح ينقل بصره بين الضيفين فى نظرة نافذة شديدة العمق .. ثم نـهض فـى هدوء شديد ، مستديرًا نحو النافذة الألوميتـال العريضة المفتوحة خلفـه ، مرسـلاً بنفس نظرتـه العميقـة إلـى ميـدان (سـفنكس) برحابته وتشعبه وزحامه ..

كان واضحًا أن الصدمـة أطلقت آلـة تفكيره بمنتهى القـوة .. لذلـك طـالت وقفتـه الساكنة أمـام النـافذة ، حتـى أكملـت الآلـة دورتها ، فالتفت إلى شقيقه يسأله بمنتهى الهدوء :

ـ هل تدرك معنى طلبك هذا يا دكتور (صبرى) ؟

وكان رد الدكتور ببروده الاستفزازى :

ـ أنا لم أطلب منك سوى حقى يا (مصطفى) .

ـ أى حق يا دكتور ؟

ـ حقى فى الميراث يا (مصطفى) .. نصيبى فى الشركة .

خرجت من (مصطفى) زومته المعهـودة حين يوشـك صبره على النفاذ .. ثم عاد يسأل شقيقه :

ـ وهل تدرك معنى أن تأخذ نصيبك فى الشركة ؟

ـ منك نستفيد يا (مصطفى) .

ـ معناه انهيار الشركة تمامًا .

وإذا برد الدكتور بابتسامة سخرية أكثر استفزازًا من بروده :

ـ ثمانية ملايين هى التى ستسقط الشركة ، وأنت شارى أتوبيسات جديدة من أسبوع فقط بـ 16 مليون جنيه يا (مصطفى) ؟!

ـ بالتقسيط .. شاريهم بالتقسيط يا دكتور .. لم يُدفع من ثمنها سوى مليونى جنيه .. والباقى مستحقات على الشركة .

وتكررت لهجة الدكتور الساخرة :

ـ تريد أن تخبرنى بأن الشركة مديونة ؟

وأجابه (مصطفى) قابضًا على رباطة جأشه :

ـ لا يا دكتور .. لم أقصد هذا ..فشركتنا والحمد لله ناجحة كما أخبرتك .. وموقفها المالى ممتاز .. فيها أصول ولها مستحقات أكثر بكثير من التزاماتها .

ـ إذن ما المشكلة فى طلبى ؟

ـ المشكلة أن هذا المبلغ الذى تطلبه لا تسمح به السيولة المالية للشركة .. والمشكلة الأكبر أن أخذك لنصيبك فى الشركة سيفتح الباب أمام مطالبة إخوتك هم الآخرين بأنصبتهم .. وهذا معناه يا دكتور إزالة الشركة تمامًا من الوجود .

ـ أنا أتكلم عن نفسى يا (مصطفى) .

ـ وهذه هى الكارثة يا دكتور .. أنك لم تفكر سوى فى نفسك .. حتى اسم الرجل الذى ربانا ، وأفنى عمره فى تربيتنا لم تفكر فيه ، ولم يخطر ببالك .

هنا فقط طار برود الدكتور الاستفزازى ، فانتفض واقفًا هاتفًا فى حدة :

ـ (مصطفى) !

وكان رد (مصطفى) ابتسامة تهدر سخرية وقرفًا ومرارة .. ثم راح يتقدم منه بقامته المهيبة ونظراته الصقرية ، حتى وقف فى مواجهته ليسأله ساخرًا :

ـ ماذا يا دكتور ؟ هل جرحت شعورك ؟

وإذا بوجهه يكتسى بجبروت مريع ، لم يسبق له أبدًا الإعلان عن نفسه ، وهو يتطلع إلى أخيه بنظرة صارمة قائلاً :

ـ غدًا تأتينى بإخوتك فى شقة العائلة يا دكتور .

فوجئ الدكتور بهذا الجبروت الجديد عليه تمامًا فى شخصية أخيه .. ووجد نفسه يجيبه فى رهبة :

ـ حاضر يا (مصطفى) .. حاضر .

* * *

سطعت ابتسامة الوزير العريضة فى وجهه وهو يهتف مبتهجًا من خلف مكتبه :

ـ أهلاً .. أهلاً بقدم السعد .

وأقبلت عليه الدكتورة (نادية) ، ترفل فى فتنتها وأناقتها وحيويتها ، ليتلقاها مصافحًا فى حميمية ، ويدعوها إلى الجلوس وهو يعاتبها :

- ماذا يا (دكتورة) ؟ إذا لم أرسل إليك لا تأتين ؟

وكان رد الدكتورة فى حياء يخفى نشوتها :

- العفـو يا أفنـدم .. أنا فقط أقـدّر مسئوليات معاليك الكبيرة ومشاغلك .

وكان رد الوزير فى حميمية متناهية :

- مشاغلى تنتظر .. أما أنت فتأتى فى أى وقت تشائين .

- شكرًا يا معالى الوزير .

- ها يا دكتورة ؟ ما أخبارك ؟

- الحمد لله يا أفندم .

وسكتت هنيهة ، ثم أردفت :

- لـدى لمعـاليـك رسـالة شـكر حميمـة من (عدنـان) بـك (الجارحى) .

وأجابها الوزير :

- بل الشكر لك يا دكتـورة (ناديـة) .. فلولاك لخسرنا مستثمرًا بهذا الحجم .

ورفع نظارته الطبية من فوق عينيه ، ووضعها أمامه على المكتب ، ثم أردف قائلاً فى دهشة واستنكار :

- الحقيقة يا دكتورة إننى فى غاية الدهشة لأمر هؤلاء الأغبياء الذين كادوا يضيّعون على (مصر) فرصة الاستفادة بمستثمرين بهذا الثقل .. لماذا يفعلون ذلك ؟!

وكان رد الدكتورة فى شبه قرف :

- لأنهم أسماك جائعة كما سبق ووصفتهم لمعاليك .. لا همّ لهم سوى ملء بطونهم .

ازدادت دهشة الوزير :

- ومصلحة البلد .. مصلحة (مصر) .. ألم يفكروا فيها ؟! ألم يفكروا فيما يترتب على خسارة مستثمرين بهذا الحجم ؟! ألم يدركوا أن خسارتهم هى خسارة ملايين من الجنيهات التى تسهم فى نهضة البلد ؟ وخسارة ملايين من فرص العمل التى تنقذ أولادنا من غول البطالة ؟ وتحسّن دخل الشعب كله ؟! ألم يفكروا فى هذا وهم يسددون الأبواب فى وجوههم ؟!

وكان جواب الدكتورة بقرفها :

ـ لا يا معالى الوزير للأسف .. لم يفكروا فى هذا .. ولم يدركوا مـا هو أخطر .. وهو أنهم بأفعالهم هذه يحولون هؤلاء المستثمرين إلى أبواق دعاية سيئة لـ (مصر) فى شتى أنحاء العالم .. وهذه هى الكارثة الكبرى يا معالى الوزير .

أومأ الوزير فى مرارة ، ولكنه سرعان ما نفض عنه مرارته ، قائلاً :

ـ الحمد لله يا دكتورة (نادية) أن البلد فيها أولاد حلال مخلصين من أمثالك .. شىء عظيم أنك فى أقل من سبعة شهور تنجحين فى جذب أربعة من كبار مستثمرى العالم .. بل ويبدءون فى تنفيذ مشروعاتهم هنا بالفعل .. شىء عظيم فعلاً .

وكان رد الدكتورة فى تبجيل ظاهر :

ـ البركة فى ربنا ثم فى معاليك يا أفندم .. فلولا أفق سعادتك ، وبعد نظر معاليك ما تحقق شىء من هذا .

ولم يعلق الوزير سوى بإيماءة صغيرة ، فصلهما صمت دفع الدكتورة إلى فتح حقيبة أوراقها المستقرة أمامها فوق المنضدة الأبانوسية ، لتستخرج منها ملفًا ، وضعته أمام الوزير فى احترام شديد وهى تقول :

ـ بعد إذنك يا أفندم .

نظر الوزير إلى الملف متسائلاً :

ـ ما هذا يا دكتورة ؟

ـ ملف خاص بالشيخ (سليم بن فيصل) يا أفندم .

فوجئ الوزير .

ـ من ؟

(سليم بن فيصل) الـ ...

قاطعته مؤكدة :

ـ نعم يا معالى الوزير .. هو ..

ـ وهل نجحت فى الاتصال بهذا الرجل ؟

ـ نعم يا أفندم .. والرجل على استعداد للحضور فورًا إلى (مصر) لتنفيذ مجموعة المشروعات الموجودة فى الملف .

وكان رد الوزير بدهشة كلها فرحة :

ـ أنت هائلة يا دكتورة .. هائلة .

ـ متشكرة يا أفندم .. سأترك لمعاليك الملف للاطلاع عليه .. واتخاذ ما تراه سيادتك بشأنه .

ـ حاضر يا دكتورة .

ـ شكرًا يا أفندم .. بعد إذن معاليك .

ونهضت مصافحة الوزير ، ومضت منصرفة .. بينما نظرات الوزير المبتهجة تكاد تحملها من فوق الأرض حملاً ..

ولم تعرج الدكتورة على مكتبها .. بل مضت إلى سيارتها التى طلبتها من جراج الوزارة بالموبايل .. وما كادت تركب فى المقعد الخلفى ، وسائقها يغلق عليها بابها ، حتى رن موبايلها ، لتأتيها المكالمة التى كانت تنتظرها من (عدنان الجارحى) .. لقد تم وضع نصف مليون جنيه فى حسابها بالبنك !!!

وأغلقت الدكتورة الموبايل مرسلة أمامها بنظرة كشعاع من وهج الشمس ..

ثم التفتت إلى سائقها قائلة :

ـ هيًا يا (رجب) .

* * *

الفصل السابع

اجتمعت عائلة (دياب) ..

(مصطفى دياب) بنبله ومرارته .. والدكتور (صبرى دياب) بأنانيته وبروده الاستفزازى . وزوجته الدكتورة (هند) الوسواسة الخناسة بمكرها المقزز .. و (عفاف) مدرسة اللغة الإنجليزية المعروفة بغشمها ، وزوجها (عزت أبو دومة) المحامى الانتهازى الذى يشبه رأسه الأصلع حبة الدوم فعلاً .. والرائد (أشرف دياب) ضابط الشرطة الذى تجمع شخصيته بين القسوة المفزعة والحنو الملائكى بطريقة تثير الدهشة ..

وبدأ (مصطفى) الكلام ، موجهًا حديثه إلى شقيقيه بلهجته الوقورة :

ـ (أشرف) .. (عفاف) .. بالأمس جاءنى الدكتور (صبرى) يطالبنى بنصيبه فى الشركة .. وبغض النظر عن كون طلبه هذا صوابًا أو خطأ ، فإننى وجدت أن الأمر يقتضى طرحه عليكما لسماع رأيكما .

بـدا الشـقيقان وكأنهمـا لـم يُفاجـآ بمـا سـمعا ، ممـا جعـل (مصطفـى) يـدرك علـى الفـور أن الكـلام ليـس جديـدًا علـى مسـامعهما .. وأن الأمـر سـبق تداولـه بينهـم مـن ورائـه .. وسرعان ما تأكد له ذلك حين وجدهما يتبادلان نظرة فضحتهما ، قبل أن يجيبه (أشرف) فى فظاظة :

ـ هذا حقه يا (مصطفى) .

لم يُفاجأ (مصطفى) بالرد .. فقد مكنته فطنتـه من استشعار ما فى نفوسهم من أول نظرة فى وجوههم .. لذلك راح يدير عينيه عليهم بنظرة متفرسة عميقة قبل أن يقول :

ـ طبعًا حقه .. ولا اعتراض على هذا .. ولكن المشكلة أنه يريد أخذه دفعة واحدة الآن .

وكان رد الدكتور (صبرى) :

ـ نعم أريده الآن حتى أنفذ به مشروع عمرى الذى أفهم فيه ، وأبنى به مستقبلى .

التفت إليه (مصطفى) ليحدجه بنظرة أربكته ، ثم التفت إلى شقيقته يسألها :

ـ وأنت يا (عفاف) .. ما رأيك ؟

وإذا بـ (عفاف) تلتفت إلى زوجها ، متبادلة معـه نظرة أثار مغزاها غيظ (مصطفى) .. ثم أجابت :

ـ الحقيقة يا (مصطفى) أنا أيضًا أريد نصيبى .. فالعمارة التى نسكنها معروضة للبيع بسعر مغر جـدًا ، وبهـا شـقتين خاليتين .. لذلك نويت شرائها ، والاحتفاظ بالشقتين للأولاد .

زام (مصطفى) زومتـه إياها ، ثـم سحب نظراتـه من فوق وجه شقيقته ، ليدور بها على بقية الجالسين ، ليتأكد له من سحناتهم أن التربيطة مُعدة سلفًا .. فراح يمد فى صمته للحظة استدعى فيها كل صبره وقوة شكيمته .. ثم عاد يمر بعينيه عليهم جميعًا متسائلاً فى هدوء :

ـ واسم الحاج (دياب) .. ألم يدخل فى حساباتكم ؟

وجاءه الرد من الدكتور (صبرى) بطريقته الاستفزازية :

ـ وهل لو كان الحاج (دياب) حيًا ، كان سيقف أمام مستقبلنا ؟

وأجابه (مصطفى) بهدوئه :

ـ لا طبعًا .. ولكنه ما كان سيفرط فى مسمار قديم فى الشركة .

وتدخّل الرائد (أشرف) :

ـ ألا ترى تناقضًا في كلامك يا (مصطفى) ؟ لا يقف أمام مستقبلنا ، ولا يفرط في مسمار في الشركة ؟

وأجابه (مصطفى) :

ـ لا .. لا تناقض في كلامي يا سيادة الرائد .

وعاد الضابط يسأله :

ـ إذن من أين كان سيعطينا ؟

وأجابه (مصطفى) :

ـ من الريع .. من ريع الشركة .. لا من أصولها .

وإذا بأول قذيفة تدوّى في الاجتماع ، تجيء من (عزت أبو دومة) :

ـ وأين هو ريع الشركة يا أستاذ (مصطفى) ؟

وضربت القذيفة صبر (مصطفى) في مقتل .. كاد ينهض من مكانه ويسحب أبو (دومة) من قفاه ، ليقذف به خارج الشقة ، لولا أن عينيه اصطدمتا بوجه شقيقته فأشفق عليها من خاطره .. تراجع عن خاطره مكتفيًا بتحذير (أبو دومة) بلهجة تشبه قطع السكين الحاد :

ـ لا تتكلم مرة أخرى يا رجل !

ولم يملك المحامى الأهطل إلا أن يزدرد ريقه من الصدمة .. ولكن (عفاف) لم تفوّتها .. أسرعت ترد شقيقها في حدة واحتّجاج :

ـ (مصطفى) .. كيف تخاطب زوجي هكذا ؟ إنه زوجي ومن حقه أن يتكلم باسمي .

طفحت المرارة في عيني (مصطفى) ، وهو يتطلع إلى شقيقته متسائلاً :

ـ وهل من حقه حين يتكلم أن ينطح يا أستاذة ؟

ـ أنت قليل الأدب .

هكذا انطلقت القذيفة الثانية من فم (أبو دومة) وهو ينتفض واقفًا في تحفز .. وصرعت القذيفة وعي الجميع .. فتسمّروا في أماكنهم ، وكأنما سقط على رءوسهم الطير ، وهم يحدّقون في (مصطفى) .. فإذا به هادئ تمامًا .. وإذا به ينهض بهدوئه متقدمًا من (أبو دومة) حتى وقف أمامه مباشرة ، وراح يتفرسه بنظرة طويلة في منتهى العمق .. لم يدر بعدها أحد من الحاضرين كيف حدث ما حدث .. فقد

اُنتزعت فردة حـذاء (مصطفى) مـن قدمـه ، لتتهـاوى بهـا يـده فوق صلعة (أبو دومة) فى ضربات سريعة متلاحقة ، ولينطلق صراخ (عفاف) و (هند) ، بينما يسرع (صبرى) و (أشرف) بالانقضاض على شقيقهما ليشلون حركته .. فإذا بـ (أبو دومـة) يريد انتهاز الفرصة ، وضرب (مصطفى) بنفس فردة الحذاء .. ولكنه لم يتمكن من فعلها ..

فقد أسقطه عيار نـارى من مسدس (مصطفـى) فـى مكانـه مضرجًا فى دمائه !!

وحينما وصلت الدكتـورة (ناديـة) بسيارتها أمـام العمـارة .. كـانت سيارة الإسعاف تحمل (أبو دومـة) إلـى المستشـفى .. وسيارة البوليس تحمـل (مصطفى) إلـى قسم الشرطة وسـط جمهرة وفضيحة تقلب الحى بأكمله .

★ ★ ★

الفصل الثامن

قضت محكمة الجنايات على (مصطفى دياب) بالأشغال الشاقة سبع سنوات ..

قبضت يدا التعس على قضبان قفص الاتهام فـى تشنج أقرب إلى الجنون حتى كـاد يفتتها فـى قبضتـه .. بينمـا تحركت عينـاه بذهولهما الجنونى من فوق وجوه القضاة إلى وجوه أفراد العائلة الجالسين فـى القاعـة ، وقـد انقسموا فـى مشـاعرهم نحـوه إلـى شرائم متناقضة ..

(عفاف) و(أبو دومة) انطلقا يكمـلان ذبحـه بنظرات شماتة بغيضة ليس بها ذرة إنسانية أو حياء ..

بينمـا ضرب الذهول الدكتور (صبرى) ، فـراح يحـدّق فـى شقيقه الكبير داخل القفص ، وهـو يكـاد يصـرخ جنونًـا بأنـه السبب ..

أما الرائد (أشرف) فقد انكفأ رأسه نحو الأرض فى غم ، وقد اسودّت الدنيا كلها فـى عينيـه وفـى قلبـه ، حتـى أنـه لـم يستطع النهوض من مكانه ..

ولكن كل هذا كان كومًا .. ومـا أصـاب الدكتـورة (ناديـة) كـان كومًا آخر .. فقد سقط عليها الحكم كصاعقة من جهنم ، صرعت

كيانها كله على الفور .. نهضت من مكانها بذهولها .. وراحت تتقدم من زوجها الحبيب المتسمر داخل القفص .. يسبقها صراخ قلبها وعينيها وكل كيانها .. ولم يخرج صراخها كله عن كلمة واحدة صامتة : « مستحيل ! مستحيل ! » ..

ولكن المستحيل وقع ..

فها هو الفارس النبيل العصامى الشهم الطاهر مجرمًا مذهولاً محطمًا مفرّغًا من كل قيمة !!

ها هو داخل قفص العار كيانًا هشًا مفككًا ذاهلاً ، لا حول له ولا قوة !!

قبضت الزوجة الحبيبة المصعوقة بيديها على يدى حبيبها القابضتين على القضبان ، منادية عليه بصوت ذاهل مذبوح :

ـ حبيبى !

التفت إليها بذهوله القابض على عقله وقلبه وسمعه وبصره ، ملقيًا عليهم جميعًا بكتل من ضباب وغيوم جعلوه لا يكاد يبصر أو يسمع .. لم يجبها سوى بنظرة طفحت بصراخ قلبه ، وبشظايا انفجار كيانه كله من الداخل ، وبذهوله الجنونى الذى جرده من وعيه ومن إرادته ، فجعله مجرد كتلة آدمية سهلة الجر فى يد الحارس الذى مضى به مغادرًا القفص ..

وحملته سيارة الترحيلات إلى زنزانته فى (ليمان طره) .. جهنم أرحم من هذا المكان .. وجوه قاسية مخيفة كافرة بأى إحساس آدمى ، كأنها لزبانية جهنم .. ووجوه كسيرة بائسة تصرخ بالذل والعار الذى لحق بها فى هذا المكان الذى لا كرامة فيه لإنسان .. ووجوه صفراء منافقة تتفنن فى النفاق كى تنجو من بطش جبابرة الزنزانة .. والفرق الثلاث مجتمعة لا تمنح المكان سوى عنوان واحد : العار ..

العار لكل من يسوقه قدره .. أو شيطانه إلى هنا ..

إحساسه بالذل لم يفارقه وهو يدير عينيه على المساجين الملتفين حوله يعاينونه كبضاعة جديدة طازجة هبطت عليهم .. وإحساسه بالذهول سرعان ماتحول إلى إحساس بالغثيان من تساؤلاتهم المتطفلة الوقحة التى انهالوا بها عليه ، وكأنهم هيئة تحقيق قذرة ، بينما هو صامت كاظم غيظه مستمسكًا بتعقله .. فقد أدرك جيدًا نتيجة تهوره مع هؤلاء الشياطين .. ولكن الشياطين المدربين على الاستفزاز ما كانوا ليتركوه يفلت منهم .. رشقه أحدهم بسؤال حقير أطاح بتعقله ، فانطلقت يمناه مسددة لكمة هائلة فى فك السجين الحثالة ، قذفت به فوق أذرع زملائه .. فكانت تلك هى شرارة الانقضاضة الجماعية التى كادت تفتك بالوافد المتهور .. لولا أن فُتح باب الزنزانة فى هذه اللحظة ، ليدخل الحارس مناديًا :

ـ مصطفى دياب أبو المجد .

مضى به الحارس إلى مكتب مأمور السجن .. ليُفاجأ بالدكتورة (نادية) والرائد (أشرف) فى انتظاره .. بينما المـأمور يستقبله فى احترام حانى .

ـ تعال يا أستاذ (مصطفى) .

ثم التفت إلى الدكتورة والضابط الشاب مستأذنًا فى الانصراف .. ومضى تاركًا (مصطفى) مسددًا نظراته إلى وجه شقيقه كسهام مسنونة راشقة لم يملك الشقيق فكاكًا منها سوى الانكفاء بنظراته نحو الأرض .. ولكن نيران (مصطفى) المستعرة المنطلقة من سحيق أعماقه ، ما كانت لتفلته .. أطبق عليه (مصطفى) بنظراته المسنونة وهو يقول له بلهجة أشد ذبحًا من نظراته :

ـ اليوم فقط مات الحاج (دياب) يا (أشرف) باشا !! مات الرجل الذى وهبنا حياته ، ورفعنا فوق أكتافه ، فكان جزاؤه منا دفنه فى العار .. جزاء (سنمار) يا سيادة الرائد .. جزاء (سنمار) .

ومات الرائد فى جلده .. تفتت كل كيانه تحت وطأة الكلمات النووية .. وجد نفسه يناشد أخيه فى شبه توسل :

ـ ارحمنى يا (مصطفى) ارحمنى .. أنت لا تدرى بما يحدث بداخلى .

وكان رد (مصطفى) بسخرية مشتعلة بنيرانه :

ـ يحدث بداخلك ؟! وهل رأيتم شيئًا بعد يا ابن الحاج (دياب) ؟ حساب الأيام قادم يا سيادة الرائد .. حساب الأيام قادم .

لم ينبس الضابط ببنت شفة .. لم يجد لديه ما يرد به .. ظل منكسًا رأسه ، وكأن مغناطيسًا هائلاً خفيًا يشد عينيه شدًا إلى الأرض ، حتى وجد نفسه يقول فى انكسار :

ـ سأنتظر فى مكتب أحد الزملاء .

ومضى مغادرًا المكتب ، تشيعه نظرات أخيه المذبوحة بعذاب جهنم المتأجج بداخله .. حتى سمع صوت الدكتورة تناديه ، وهى تلفت وجهه نحوها فى إشفاق :

ـ حبيبى !

التفت إليها بعذابه الضارى ، فإذا بعينيها تملؤهما الدموع ، بينما ارتياعها وذهولها اللذين تحاول إخفاءهما يعتصران وجهها بلا رحمة .. وجد نفسه يضمها فى حضنه فى صمت يهدر أنينًا يدمى القلب .. قطعته هى قائلة بدموعها :

ـ ليتها جاءت فىّ أنا يا حبيبى .. ليتنى أنا التى سُجنت أو حتى أعدمت .

وانفجرت باكية وهى تنتفض فى حضنه .. بينما هو يربت عليها محاولاً تهدئة روعها :

ـ كفى يا حبيبتى .. كفى .. لن يفيد هذا فى شىء .

ـ أخبرنى ما هو الذى يفيد وأنا أفعله يا حبيبى .. أخبرنى كيف أرحمك من هذا ؟ كيف أهوّنه عليك ؟

وكان رده عليها بصوته الواهن الممزق :

ـ بأن تتماسكى يا (نونة) .

ـ من أين يأتينى التماسك والصبر ؟ من أين يا أعز الناس ؟

ـ من حسبتها بالعقل يا دكتورة .. ما حدث قد حدث .. فبماذا يفيد البكاء على اللبن المسكوب ؟ بماذا يفيد الانهيار ؟

الصبر وحده هو الذى يفيدنا ، لأنه وحده القادر على أن يجتاز بنا المحن .

ـ هبنى بعضًا من صبرك ومن عقلك يا حبيبى .

طفحت مرارة الدنيا كلها على وجهه .. ولم يملك سوى أن يضمها أكثر فى حضنه ، بينما قلبه من داخل ضلوعه يجيبها هاتفًا : ما عدت أملك ما أهبه لأحد .. ما عدت أملك نفسى ..

ولا حريتى ..

ولا حتى كرامتى ..

★ ★ ★

دخلت الخادمة على الدكتورة (نادية) الجالسة فى فراشها بدموعها وشرودها ؛ لتخبرها بأن مدير مكتب الوزير فى الصالون ، خرجت إليه لتُفاجأ به يخبرها بأن الوزير قادم فى الطريق ..

دقائق وكان الوزير يصافحها معتذرًا فى رثاء :

ـ أنا آسف يا دكتورة لزيارتى المفاجئة .. ولكننى وجدت فى حضورى إليك خير تعبير عن مكانتك عندى .

وكان رد الدكتور بحزنها :

ـ بل هى شرف كبير لى يا معالى الوزير ..

تفضل معاليك ..

جلسا فى الصالون الداخلى .. وسرعان ما جاءت الخادمة بالقهوة التى أوصت بها الدكتورة مسبقًا قبل وصول الوزير .. وضعتها أمامهما وانصرفت ، فأسرعت الدكتورة تقدمها لضيفها الكبير بلهجتها الحزينة :

ـ تفضل معاليك .

تناول الوزير الفنجان منها وهو يشكرها .. وانتظرته هى حتى أخذ رشفته الأولى منها ، ثم رفعت وجهها المطفأ نحوه ، قائلة فى حرج :

ـ أنا آسفة يا أفندم لانقطاعى عن العمل كل هذا الوقت .

أعاد الوزير الفنجان فوق المنضدة .. ثم رفع وجهه هو الآخر نحوها ، متطلعًا إليها فى رثاء للحظة قبل أن يقول لها فى حنوٍ وإشفاق :

ـ إذا كان عليك أن تعتذرى ، فلتعتذرى عن ضعفك هذا الذى أراه على وجهك .. لا عن انقطاعك عن العمل يا دكتورة .

وإذا برد الدكتورة ، وهى مطرقة إلى الأرض بذهولها :

ـ ليس ضعفًا يا معالى الوزير .. بل انسحاقًا .

فوجئ الوزير :

ـ انسحاقًا ؟!

عادت تجيبه وهى تبعثر نظراتها الذاهلة على الأرض :

ـ نعم يا معالى الوزير .. هذه الكارثة اللعينة سحقتنى .. فرمتنى كذبابة كانت تتربص بها .. ولم تترك لى القدرة حتى على الصراخ .

ازدادت دهشة الوزير :

ـ ما كل هذا يا دكتورة ؟!

وأردف مستنكرًا :

ـ أنت أستاذة اقتصاد يا دكتورة (نادية) .. لا تليق بك المبالغات .

وكان رد الدكتورة بانهزامية متناهية :

ـ هذه ليست مبالغة يا معالى الوزير .. هذه حقيقة أغرق فيها حتى أذنىّ .

ورفعت عينيها نحو الوزير ، فإذا بالدموع تغشاهما .. وإذا بطوفان من الذهول يندفع فى كلماتها ، وهى تكاد تصرخ فى الرجل مستغيثة به من الجحيم المتأجج فى أعماقها ، انطلقت تقول له بالدموع ، وهى تكتم صراخها بالكاد :

ـ يا معالى الوزير .. نصفى صار فى نظر المجتمع مجرمًا منبوذًا خارجًا على القانون .. الاسم الذى أحمله كزوجة ، والمفروض أنه يتوّجنى صار عارًا يد مغنى .. أول مانشيت عن القضية فى صفحات الحوادث كان « القبض على زوج موظفة كبيرة بتهمة الشروع فى قتل .. » .. ومن لحظتها صرنا فى نظر الناس وصمة عار .. ولم يعد لنا مكان بينهم ولا كرامة ..

فهل فى هذا مبالغة منى يا معالى الوزير ؟ أم أنها الحقيقة التى أعيشها الآن ، وأغرق فيها بكل كيانى ؟

وصمتت المسكينة .. صمتت مطرقة إلى الأرض تمسح دموعها المتدفقة من عينيهـا . ولم تسمع ردًا من ضيفها الكبير ، فقد أطرق الرجل هو الآخر إلـى الأرض صامتـا حـائرًا مغمومـا تحت وطأة الحقيقة القاسية الأقوى من أى تهوين ، ومن أى كلمات راثية .. ومع ذلك كان على الرجل أن يفعل أو يقول شيئا ينتشلها به من بين أنياب محنتهـا التى تفترسها .. رفـع عينيـه نحوها يتأملها بنظرة طويلة عميقة مشحونة بكل مفردات الشفقة ، قبل أن يقول لها بنبرة كلها صدق وإخلاص :

ـ دكتورة (نادية) ! لن أفعل معك مثل ما يفعله الآخرون فى مثل هذه الظروف بأن أحـاول مواسـاتك أو التهوين عليك .. بل على العكس ، سأكون صادقًا معك ، لأننى أريـد مخاطبـة عقلك .. عقل الدكتورة (نادية) أستاذة الاقتصاد النابغة ..

وصمت الرجل هنيهـة متدبـرًا كلماتـه قبـل أن يواصـل حديثـه قائلاً :

ـ أولاً : أنا معك فى أن ما حدث هو كارثـة .. ولكن هل كل كارثة تحل بالإنسان تعنى له نهاية الحياة ؟

بـالطبع لا يـا دكتـورة .. فجميع الكـوارث الإنسـانية ليس مـن بينها ما يوقف الحياة وينهيها سوى كارثتين بعينهمـا : « الموت

والجنـون » .. وفيمـا عدا ذلك فـإن أيــة محنــة لـن تزيـد عـن محطـة .. محطـة يعبرهـا الإنسـان بإرادتـه أو رغمًـا عنــه .. لأن قطار الحياة ماض ، وما هو إلا راكب من ركابه .. وما دام الأمـر كذلـك .. وما دام سيعبر هـذه المحطة بإرادتـه أو رغمًـا عنـه .. وما دام لن ينزل من القطار إلا فى محطتـه المقدّرة لـه .. فلمـاذا لا يهونَ الأمر على نفسه حتى لا تتحول بقية الرحلـة إلـى جحيم يدمره ؟

ثانيًا يا دكتورة .. ما الذى بيدك الآن حيال هذه الكارثة ؟

هل بيدك أن تعيدى عقارب الساعة إلى الـوراء فتمنعينهـا قبل وقوعها ؟

أم بيدك أن تنظرى إلـى الأمـام وتجتازيهـا بأيـة وسيلة ممكنـة لتواصلى طريقك ؟

وكـــان جـــواب الدكتـــورة بدمـــوع الانهيـار التـى عجزت عن كبحهـا :

ـ ما عدت أملك ما أواصل به الطريق يا معالى الوزير .. ضاع كل شىء .. انهار فى لحظة ما بنيته فى سنين طويلة .

ـ لا يا دكتورة .. لم يضع شىء ، وما انهار شىء .. عقلك مازال موجودًا ، وعلمك ما زال موجودًا .. ومكانتك التى بلغتيها باجتهادك ما زالت موجودة .. ومازلتى فى عز شبابك ..

فما الذى ضاع إذن ؟

ـ ضاعت السيرة .. السيرة التى سقطت فى الوحل .

رمقها الوزير بنظرة تعجب :

ـ عدنا إلى المبالغات يا دكتورة .

ثم أردف يسألها بتعجبه :

ـ أى وحل هذا الذى تتحدثين عنه يا دكتورة ؟

الرجل أطلق النار دفاعًا عن نفسه وعن كرامته .. وأى إنسان مهما بلغ شأنه معرّض لفعل هذا .. فأى عار فى ذلك ؟ العار لمن يخل بشرفه وكرامته لا لمن يدافع عنهما يا دكتورة .

وإذا بسؤال الدكتورة يفلت منها بدموعها :

ـ هل لو كنت معاليك فى مكانه كنت ستفعل ما فعل ؟

وكان رد الوزير على الفور :

ـ طبعًا .. أنا أو أى رجل عنده كرامة .

فوجئت الدكتورة برد الرجل وتأكيده رغم حجم وحساسية مكانته .. وكان ذلك كافيًا للإطاحة بخزيها وانهزاميتها .. ولكن شيطانها ما كان ليفك قبضته عنها بسهولة .. عادت تجادل الرجل بانهزاميتها :

ـ الناس يا معالى الوزير .. الناس لا ترى الأمر هكذا .

وكان رد الرجل فى سخرية ومرارة :

ـ الناس ؟!

* * *

الناس تدهس الضعيف يا دكتورة .. أما القوى فلا تجرؤ على رفع عيونها فيه .

ـ من لن يرفعها فى وجهى سيرفعها فى ظهرى يا معالى الوزير .

ـ ومن منا لا ينهشه الناس فى ظهره يا دكتورة ؟ لقد صارت النميمة عند الناس قوتًا لا يستغنون عنه .

وهمت الدكتورة بأن تعقّب بشىء ، ولكن الرجل بخبرته أسرع يضع حدًا لجدلها الذى لا طائل منه .. قاطعها بحسم لا يخلو من الحنو :

ـ كفى يا دكتورة .. كفى ضعفًا وانهزامية .. غدًا تعودى إلى عملك .. عملك هو الذى سيرفعك فوق كل هذا .. ويعبر بك المحنة .. ويصرف عنك كل ما تخشينه .. إنه الدواء السحرى لحالتك هذه يا دكتورة .

ونهض الرجل .. ووقف قبالتها يحتويها بنظرة حانية مشجعة مطمئنة ، قبل أن يمد يده لها مصافحًا ، ومستأذنًا فى الانصراف .

* * *

الفصل التاسع

ظلت عينا (مصطفى) معلقتين بوجه الأستاذ (محمد سالم) المحامى بنظرة طويلة احتشد فيها كل أنين البشر ، استدار بعدها نحو نافذة الغرفة المفتوحة على فناء السجن ، مرسلاً نظراته أمامه فى فراغ الفناء ، وقد تحول الأنين فيها إلى صراخ هادر متصاعد مخضب بالذهول الأقرب إلى الجنون ..

ماذا يفعل ؟!

يضحك ؟!

أم يبكى ؟!

أم يصرخ ؟!

أم ماذا يفعل ؟!

ها هى عقود بيع شركة (دياب) التى أفنى فيها الرجل عمره .. والتى كان ابنه البكرى حتى الأمس القريب يخطط لأن تكون درة شركات السياحة فى البلد .. ها هى مطروحة على المنضدة فى انتظار توقيعه ..

ها هم أبناء الحاج (دياب) الذين أفنى عمره فى تربيتهم يردّون له الجميل بطريقتهم ..

بطريقة هذا الزمان ..

وبأخلاقه ..

وبقوانينه ..

فيمزقونه فى قبره شر ممزق !!

ها هم يدفعون بخليفته إلى السجن .. ثم يرسلون إليه فى سجنه بعقود بيع الشركة مستوفاة ، لا ينقصها سوى توقيعه ..

وهل يملك غير الرضوخ ؟

به أو بدونه سيبيعون بحكم القانون ..

بماذا تشعر الآن فى قبرك يا حاج (دياب) ؟

هكذا انطلق السؤال فى أعماق جوفه كصرخة ذبيح شقه سكين غير رحيم ..

انتبه على صوت المحامى العجوز يناديه من خلفه فى تهيُّب :

ـ (مصطفى) بك !

استدار إليه (مصطفى) ببطئه الذاهل ونظراته المكتوية بلظى جهنم المتقدة فى قلبه .. وراح يطيل النظر فى وجهه فى عتاب مرير قبل أن يجيبه بنبرة أشد عتابًا :

ـ نعم يا أستاذ (محمد) .

وتلقَى الرجل حديث النظرة والنبرة ، فإذا به يموت فى جلده .. ويصطبغ وجهه بالحرج والحزن الشديد .. إنه محامى العائلة لأكثر من ثلاثين عامًا .. ويدرك جيدًا ما يحدث بداخل المسكين الآن .. ولكن ما باليد حيلة .. همَّ بأن يتكلم ، ولكن الكلمات والأفكار كانت قد فرت منه بمجرد تلقِّيه تلك النظرة المزلزلة من عينى المسكين ، والتى قالت الكثير الذى لا تستطيعه كل ألسنة أهل الأرض مجتمعة .. وجد نفسه يطرق إلى الأرض صامتًا عاجزًا غارقًا فى حرجه وغمه .. لم يستطع رفع عينيه والنطق بشىء ، فنطق (مصطفى) .. وإذا بنبرته قوية حاسمة ، وكأن شخصيته الحقيقية رُدت إليه فجأة .. نظر إلى المحامى قائلاً بصحوته المفاجئة :

ـ أستاذ (محمد) !

وجاءه الرد على الفور :

ـ تحت أمرك يا باشا .

ـ أولاً : أريد كل سندات الديون المستحقة على الشركة ، والتى سيتحملها المشترى ، مشفوعة بمخالصات نهائية من الدائنين .

وكان رد المحامى :

ـ مع العقود إقرار منى بإحضارها لسيادتك خلال ثمانيـة وأربعين ساعة من تاريخ توقيع العقود .

وعاد (مصطفى) يملى أوامره :

ـ ثانيًا : يتم إيداع حصتى نقدًا فى البنك باسم الدكتورة (نادية) .

فوجئت الدكتورة ، والتى كانت حتـى هذه اللحظـة تقف ذاهلـة مغمومة ، فاقدة القدرة على التدخّل بأى رأى من فرط مأساوية الموقف .. أسرعت تحتضن يـد زوجهـا الحبيب بيدهـا ، متسـائلة فى دهشة :

ـ ولماذا لا يتم إيداعها باسمك أنت يا حبيبى ؟

رمقها بنظرته المعذبة قائلاً :

ـ انتظرى من فضلك يا دكتورة !

ثم التفت إلى المحامى يسأله بلهجته الحاسمة :

ـ هل سمعتنى يا أستاذ ؟

وكان رد المحامى فى أدب :

ـ نعم يا (مصطفى) بك .. سمعتك وسأنفذ .

هنا سحب (مصطفى) نظراته من فوق وجه الرجل ، ليستدير مائلاً على المنضدة ، واضعًا آخر توقيع لـه على أوراق تحمل اسم شركة (دياب) !!

لحظات وكـان المحـامى العجوز يجمـع أوراقـه فـى حقيبتـه ، ويمضى بحرجه وغمه ، تاركًا المسكين سـاكنًا فى مكانـه يشيّعه بنظراته المصلوبة ، كتمثال صُبَّ العـذاب فـى عينيـه صبًّا ، حتـى سمع الدكتورة تناديه ، وقلبها يكاد ينخلع عليه :

ـ حبيبى !

التفت إليهـا ، فـإذا بذبحتـه الطافحـة على وجهــه تروّعهـا .. أسرعت تضغط يديه بيديها ، هاتفة بانزعاجها الطاغى :

ـ حبيبى .. ارحم نفسك .. إنه قدر الله .. قدر الله الذى لا يملك أحد رده ، ولا يحق لمؤمن الاعتراض عليه .. وأنت رجل مؤمن .

ولم يجبها حبيبها بشىء .. ولكن نظراتـه الذاهلـة راحت تتحرك على وجهها فى حيرة وتساؤل كله توجس ، ممـا دفـع الدكتـورة إلى سؤاله فى دهشة :

ـ حبيبى .. ماذا هناك ؟..

لم يجبها ، ولم يرفع نظراته العجيبة عن وجهها ، مما زادها دهشة :

ـ حبيبى .. كأنك تريد أن تسألنى عن شىء .

وإذا بجوابه :

ـ نعم .

ـ عن ماذا ؟

ـ عن الوتد الثالث .

فوجئت :

ـ الوتد الثالث ؟!

ـ نعم .

وأطرق هنيهة ، قبل أن يعاود النظر فى وجهها قائلاً :

ـ قبل وفاة أبى بأيام قليلة ، رأيت فى المنام أنى أسكن خيمة جميلة زاهية ، مثبتة فى الأرض بثلاثة أوتاد .. وإذا برياح مجنونة كالإعصار تهب فجاة ، فتقلتع الأوتاد الثلاثة تباعًا .

وعاد يزحف بنظراته المتسائلة على وجه الدكتورة ، وهو يمضى قائلاً :

ـ مات الحاج (دياب) !

وضاعت الشركة !

فما عساه يكون الوتد الثالث ؟

وانتفضت الدكتورة .. انتفضت من شىء غامض جسته فى رؤيا زوجها ، وفى نبرته ، وفى نظراته .. شىء ما يخصُها .. شىء غير محدد الملامح ، ولكنه بعث فيها بإحساس مخيف .. شىء يشبه نذير السوء .. فأى سوء ينذر به ؟ وما دورها فيه ؟ تعلَقت عيناها بعينى زوجها بتوجساتها التى انقضّت عليها من رؤياه ، ومن نبرته ، ومن نظراته ، والتى زادت وجهها احتقانًا فوق احتقانه ، فصارت مثيرة للشفقة .. فلم يملك الرجل إلا أن يأخذها فى حضنه ، بينما نظراته وأفكاره منطلقتين بعيدًا فى محاولة يائسة لشق حجب المجهول المتربص بهما بكل هذه القسوة ، وكأنه يتلذذ بتعذيبهما بلا رحمة ..

وجاء الحارس معلنًا انتهاء الزيارة ، فإذا بالدكتورة تتشبث بحضن زوجها الحبيب كطفل روّعه الخوف ولوعة الانتزاع من أيكه الدافئ .. بدت على وشك الانهيار ، فما كان من حبيبها إلا أنه أسرع يردها إلى نفسها بهمسته الحانية :

- الحارس يا حبيبتى .

رفعت عينيها الدامعتين إلى وجهه تملؤهما منه ، بينما راح هو يهدهدها بابتسامته الحانية التى تقطر عذوبة ، حتى هدأ روعها تمامًا ، فإذا بابتسامتها الحلوة هى الأخرى تشرق على شفتيها ، وإذا بها تغمز له بعينها غمزة شقاوة تحمل دعوة جريئة ، كان رده عليها وهو يشير بطرف عينه إلى الحارس المنتصب بالباب كالصقر :

- صعب .

فما كان منها إلا أنها رمقت الحارس بنظرة باسمة ، ثم التفتت إلى (مصطفاها) قائلة :

- حبيبى .. لقد أودعت عشرين ألف جنيه بخزينة السجن لتكون تحت تصرفك .. وخمسة آلاف جنيه فى (كنتاكى) ليواظبوا على إرسال وجباتك .

- شكرًا يا حبيبتى ..

- ولأجل خاطرى كل واهتم بصحتك .. لقد نحلت كثيرًا .. وهذا يقلقنى عليك .. أرجوك يا حبيبى ..أرجوك .

- حاضر يا حبيبتى .. حاضر .

وإذا بالحارس يرسل لهما بنحنحة خشنة تنبههما ، فعادت الزوجة الحبيبة تأخذ حضنًا أخيرًا من زوجها الحبيب ، وتضع قبلتين على خديه ، قبل أن يأخذه الحارس عائدًا إلى زنزانته ، بينما هى تشيعه بنظراتها فى تماسك ، حتى إذا ما خرج من باب الغرفة ، هوت فوق أحد المقاعد منفجرة فى البكاء .

* * *

رفع (مصطفى) عينيه عن الكتاب الذى يقرؤه مجيبًا صاحب التحية :

- عليك السلام ورحمة الله .

كان (مصطفى) يجلس إلى طاولة مكتبة السجن .. بينما وقف صاحب التحية بالناحية الأخرى من الطاولة ، مطلاً عليه بابتسامة ودودة دافئة .. كان سجينًا فى العقد السابع من عمره ، تجلله هالة ورقى لم تستطع بدلة السجن إخفاؤهما .. وكانت ابتسامته وبشاشته تشعّان بألفة مريحة للنفس ، مما جعل (مصطفى) يدعوه إلى الجلوس .

- تفضّل .

وجلس السجين قبالة (مصطفى) ، ثم بادره قائلاً بأدبه الواضح :

ـ آسف لقطعى خلوتك .

وكـان رد (مصطفـى) بوجومـه الـذى يعكــس حالتــه النفسـية السيئة :

ـ لا عليك يا سيدى .

مد السجين يده بعلبـة سجائره المـارلبورو إلـى (مصطفـى) ، فـأخذ منهـا الأخير سيجارة أشعلها وأشـعل للسـجين سـيجارته بولاعته (الرونسون) .. وأخذ السجين الفـاخر نفسًـا طويـلاً مـن سيجارته ، ثـم عـاد يجـاذب (مصطفـى) طرف الحديث بلهجتـه الرصينة الراقية ، مشيرًا بعينيه إلى الكتاب الذى يقرؤه :

ـ هل أعجبك هذا الكتاب ؟

انتبـه إليـه (مصطفـى) ، وكأنــه فوجـئ بسـؤاله ، وأجابـه باقتضاب لا يخلو من التعجب :

ـ نعم .

ـ ما الذى أعجبك فيه ؟

وجـد (مصـطفى) نفسه يتطلـع مليًـا إلـى السجين .. أسئلته هذه توحى بأنه سبقه إلـى قراءة الكتـاب .. وهـذا الكتاب خـاص بصـفوة المثقفين .. إنـه دراســة عميقـة عن الإنسـان المصـرى

ومـا طـرأ علـى شـخصيته مـن متغـيرات تدريجيـة عـبر آلاف السنين .. فهل يمكن أن يكون صاحبنا قد قرأه ؟ ومن يكون حتـى يقرأ كتابًا كهذا ؟!

ولم ينتبه (مصطفى) إلى أن تساؤلاته هذه قد سطعت فى نظراتـه إلى السجين بمنتهى الوضوح ، فما كان من السجين إلا أنه ابتسم نفس ابتسامته الودودة الدافئة ، وهو يقول ببساطته الراقية :

ـ أنا مؤلفه !

لطمت العبارة انتباه (مصطفى) ، فتسمرت عينـاه علـى وجـه السجين ، متسائلاً فى دهشة طاغية :

ـ مؤلف ماذا يا سيدى ؟!

ـ مؤلف هذا الكتاب الذى تقرؤه حضرتك .

دوّت المفاجأة فى أعماق (مصطفى) ، وتناثرت شظاياها علـى وجهه .. انفلت منه سؤاله بهدوء ذاهل :

ـ تقصد أنك سيادة الوزير (كمال أسعد) ؟!

وكان رد السجين ببساطته المدهشة :

ـ نعم يا سيدى .. أنا الوزير (كمال أسعد) .

ـ معقول ؟!

رددها (مصطفى) فى نفسه ، وعيناه تحلّقان على وجه الرجل بدهشته التى انطلقت من عقالها ، وكادت تذهب بوقاره لولا أن أدركته ذاكرته بحكمة قديمة وردت عليه فى إحدى الروايات الصينية الشهيرة : « الأقدار ليس لها كبير » .. فهدأت دهشته سريعًا .. ووجد نفسه يقول للوزير بوقاره الواجم :

ـ تشرفنا يا أفندم .. (مصطفى دياب) ، رجل أعمال .

ـ الشرف لى يا (مصطفى) بك ..

ها .. لم تجبنى .. ما الذى أعجبك فى هذا الكتاب ؟

وجاءه الرد بكل احترام :

ـ ثقة معاليك فى خيرية الإنسان .

أومأ الوزير برأسه إعجابًا ، بينما أردف (مصطفى) :

ـ وإن كنت أستأذن معاليك فى إبداء تحفظًا .

ـ تفضل

ـ تحفظى على المبالغة فى هذه الثقة .

وكان رد الوزير ببساطته العذبة :

ـ ليست هناك أدنى مبالغة يا (مصطفى) بك .. فالله سبحانه وتعالى هو الذى استخلف الإنسان فى الأرض .. أى وضع فيه ثقته المطلقة ، قبل أن أضعها فيه أنا أو غيرى .

ـ وهل أحسن الإنسان استغلال هذه الثقة ؟

وكان رد الوزير عن اقتناع :

ـ نعم .

ـ بأمارة ماذا يا سيدى ؟

ـ بأمارة ما صنعه هذا الإنسان بالأرض يا أستاذ .

ـ ماذا صنع يا معالى الوزير ؟

ـ صنع الكثير يا أستاذ .. صنع ما هو أكثر من المستحيل .. لقد استلم الإنسان هذه الأرض بقعة خاوية وعرة مخيفة .. لا يرتفع بها قالب طوب واحد .. ولا يخرج منها فسيلة زرع واحدة .. ولا ينير ليلها سوى النجوم والقمر .. ولا يربط أوصالها المتباعدة رابط .. وليس بها عود كبريت .. ولا آنية .. ولا حتى آلة بدائية واحدة تعينه على سكناها .

هكذا استلمها الإنسان يوم أنزله الله فيها ..

فانظر ماذا صنع بها ..

انظر العمران والتكنولوجيا ..

انظر الأنوار ..

انظر المواصلات ..

انظر التليفزيون والتليفون والنت ..

ارفع عينيك إلى السماء .. وانظر الطائرات التى تسبح فوق السحاب محمّلة بالبشر ومتاعهم .. لو بُعث ميت مات من خمسمائة سنة فقط ، ورأى قطعة الحديد هذه تطير فوق السحاب بحمولتها التى تبلغ عشرات الأطنان لصُعق فى مكانه ..

لو أسمعته صوت واحد من ذويه فى الموبايل من بعد آلاف الكيلومترات لأطاح الذهول بعقله ..

لو وضعته أمام تليفزيون مفتوح لظنه صندوق عفاريت ..

لو أخبرته بأن هناك آدميين مشوا بأقدامهم فوق القمر لظنك مختل عقليًا ..

هذا هو ما فعله الإنسان بالأرض يا (مصطفى) بك ..

والمخلوق الذى يفعل هذا لا يمكن أن يكون إلا أسطورة فى عبقريته ، وفى قوته ، وفى قدراته ..

ولا يمكن أن يكون إلا أهلاً للثقة التى منحها له الله ..

وفى النهاية لا يمكن لعاقلين اثنين أن يختلفا على أنه أحسن خلافته فى الأرض ، وأثبت جدارته بها ..

فهل يمكن بعد كل ذلك أن يكون لك رأى آخر فيه يا (مصطفى) بك ؟

وكان رد (مصطفى) بهدوء يصرخ بالمرارة :

ـ بل لى سؤال يا معالى الوزير .

ـ تفضل .

ـ لقد أخبرتنى معاليك بما فعله الإنسان بالأرض .. وأحسنت فى ذلك .. فهل بمقدور معاليك أن تخبرنى بما فعله هذا الإنسان بنفسه ؟

ـ عفوًا (مصطفى) بك .. ماذا تعنى ؟

ـ أعنى ما فعله الإنسان بفطرته .. بخيريته .. بضميره .. بإحساسه ..

ألم يهبه الله سبحانه وتعالى هذه الهبات الرائعة قبل أن يهبه الأرض ؟

ألم يهبه فطرة طيبة نازعة إلى الخير والسلام ؟

ألم يهبه ضميرًا حيًا منيرًا يحفظ له سلامه الروحى ؟

ألم يهبه حسًا مرهفًا يمتّعه بالجمال والحب والخير ؟

ألم يهبه صراطًا مستقيمًا يصونه من السقوط فى المهالك ؟

ألم يهبه كل ذلك يا سيدى ؟ فماذا فعل به ؟ أهمله .. أهمله حتى صارت نفسيته خرابًا ..

نعم يا سيدى هو أنجز كل ما ذكرته سيادتك .. عمّر الأرض ، وطوّر كل ما حوله ، ولكنه فى المقابل أهمل فطرته وخيريته وضميره وعاطفته ، فكانت النتيجة أن عمرانه لم ينفعه ولا تطوره .. وها هو الدليل إحساسه الفظيع بالشقاء والتعاسة ، والاغتراب .. وها هو يعيش فى وطنه ووسط أهله ، ومع ذلك ينهشه الإحساس بالغربة ..

ها هو كتلة هموم وقلق وتوتر تسعى على قدمين ..

ها هو يفتقد الإحساس بالأمان .. بالسكينة .. بالحب الحقيقى ..

ها هو آلة صماء لا تتألم لأحد ، ولا يتألم لها أحد ..

ها هو يفتقد شيئًا عزيزًا ضيّعه هو بنفسه من يديه .. سعادته الحقيقية ..

ها هو قد ربح رفاهية تفوق الخيال ، ولكنه فى المقابل خسر نفسه ، فكانت خسارته أكبر كثيرًا من ربحه .. فهل يمكن وصفه بعد ذلك بأنه أسطورة وبأنه عبقرى ؟

وسكت (مصطفى) فى انتظار جواب الوزير ، فإذا بوجه الرجل قد انطفأ غمًّا .. لقد حركت الحقيقة التى ساقه إليها (مصطفى) ، ووضعه أمامها وجهًا لوجه شيئًا مريرًا مؤلمًا فى نفسه .. وتجلّى ذلك بمنتهى الوضوح فى انكسار ومرارة نبرته وهو يجيب (مصطفى) قائلاً :

ـ الأمر ليس بهذا السوء يا (مصطفى) بك .. وأبدًا لن يكون بهذا السوء .

ـ إذن فما الذى أتى بسيادتك وبى إلى هنا ؟

هكذا قذفه بها (مصطفى) بلا ترفّق أو مواربة مردفًا :

ـ لقد نشرت جميع الصحـف مقولـة القـاضى الـذى تنحّى عن نظر قضيتك قـائلاً : « واللـه مـا وجدت فـى ملـف القضيـة غـير الطهارة ، فأين ذهب ضمير الإنسانية ؟ » .

وأسقط فى يد الوزير السجين .. وبـدا وكـأن سكينًا مسنونًا غُرس بغتة فى جرحه ، فكادت تفلت منـه أنّته ودمعته ، لولا أنـه أسرع هاربًا بنظراته إلى الأرض معاتبًا (مصطفى) فى نفســه :

ـ لماذا يا رجل ؟

وأدرك (مصطفى) ما فعله بالرجل ، فإذا بالقسوة التى كـانت تفـوح فـى نبرتـه تتبدل بشـفقة ومـرارة طاغيـة .. ووجد نفســه يمسك بكتاب الوزير قائلاً له بمرارته وشفقته :

ـ هذه هى الحقيقة يا معالى الوزيـر .. لقد خربها الإنسـان بإهمالـه لإنسانيته ، فأضاع نفسه وأضاع أخيه الإنسان .. ولم يعد جديـرًا بتلك الثقة التى تحملها له فى فكرك .. وسطرتها بقلمك فى كتـابك هذا ..

هكذا أنهاها (مصطفى) ، لا تحاملاً منه ، وإنما أنينًا وألمًا مما فعله به أخيه الإنسان .. وطفح هذا جليًا على وجهه وفى عينيه ، فلم يملك الوزير السجين إلا أن يتأملـه فـى صمت يهدر بنفس أنينه وألمه ..

ولكن ..

فجأة انكسر الصمت ..

وفجـأة تبخـرت مـرارة الوزيـر السجين ، وغمـه ، وضعفــه .. تلاشوا جميعًا مــن وجدانـه فجـأة ، لتتدفق مكانهـا ثقـة وتفـاؤل ، اندفعا يجريان فى شرايينه مثل أكسير الحيـاة .. فـإذا بـه يحدج (مصطفى) بنظرة ساطعة وامضة مشحونة عزمًا وثقة لا حـدود لهما ، ثم يقول له بصحوة عجيبة :

ـ (مصطفى) بك ..

يومًا ما ..

يومًا ما سأثبت لك العكس ..

سأثبت لك أن الإنسان ليس بهذا السوء الذى تراه ..

وأبدًا لن يكون ..

نحن على موعد يا سيدى ..

نحن على موعد ..

* * *

الفصل العاشر

امتد اجتماع الوزير ، ومساعدته الدكتورة (نادية) المسئولة الأولى عن الاستثمارات الخارجية فى مكتبه بوفد رجال الأعمال الأمريكى لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة ، أفسح خلالها الوزير مجال الحديث لمساعدته ، فإذا بها تصول وتجول فى طرح صورة رائعة لمناخ الاستثمار فى (مصر) خلال الثلاث سنوات الأخيرة ، بفضل التيسيرات المتزايدة التى تمنحها الحكومة المصرية للمستثمرين يومًا بعد يوم .. تحدثت الدكتورة كثيرًا بالأرقام والإحصائيات والمستندات ، بينما أعضاء الوفد يصغون إليها بمنتهى الاهتمام .. فقد أخذهم حديث الأرقام الذى يعشقونه ، وبراعة الدكتورة فى إظهار تحرر عقلية حكومتها من جمود البيروقراطية ، واستعدادها التام لاتخاذ أية خطوات جريئة تخدم الاستثمار والمستثمرين فى (مصر) .. وكانت المحصلة النهائية للاجتماع إعجابًا طاغيًا من أعضاء الوفد المجتمعين بالدكتورة الشابة كنموذج للعقلية المتوثبة المشرقة بشبابية العقل الغربى !!

وخرج الوزير من الاجتماع وهو يكاد يطير فرحًا بمساعدته النابغة ، ولسان حاله يقول لها « لم يخب ظنى فيك » ..

ولم يتركها الوزير تأخذ بعض الراحة ، بل انطلق بها إلى مكتبه ، حيث أجلسها أمامه ، وجلس خلف المكتب ، يشعل سيجارته .. أخذ نفسًا طويلاً منها ، ثم نظر إلى مساعدته قائلاً :

ـ مبروك يا دكتورة (نادية) .

دُهشت الدكتورة :

ـ مبروك على ماذا يا أفندم ؟

وكان رد الوزير بوقاره الذى يحجب افتتانه بها :

ـ صدر قرار صباح اليوم بتنصيبك رئيسًا لهيئة الاستثمار .

ـ ماذا ؟

انطلق الاستفهام من شفتى الدكتورة الشابة كقذيفة دهشة ، بينما أردف الوزير بوقاره :

ـ لقد ادخرتها كمفاجأة لك بعد الاجتماع .

بلغت دهشة الدكتورة حد الذهول :

ـ أنا ؟!

وكان رد الوزير بمنتهى الهدوء :

ـ نعم أنت يا دكتورة .. لقد صدر القرار ، وجارى اتخاذ اللازم .

هنا وجدت الدكتورة نفسها تنهض واقفة لا إراديًا ، وهى تبعثر نظراتها يمينًا ويسارًا فى ذهول مـا لبث أن راح يتحـول تدريجيًا إلى فرحة ، أخذت تتصاعد وتتصاعد ، حتى انفجرت مدوّية فى قلبهـا وفى وجهها وفى عينيها الزيتونيتين ، فراحت تحملق بهمـا فى وزيرها ببريق متوهج خطف قلبه .. إنها تثق تمامًا بأنـه صاحب الفضل الأول فى فوزها بهذا المقعد الخطير ، وفى القفز بها فوق أسماء عديدة لمتربصين بمقعد كهذا .. وجدت نفسـها تقول لـه بطوفان فرحتها ودهشتها :

ـ لا أدرى ماذا أقول لـك يـا معالى الوزير .. الشكر وحـده لا يكفى .

وكان رد الوزير بحنوّه وامتنانه بها :

ـ شكر على ماذا يا دكتورة ؟

ـ على كل ما تفعله لأجلى يا سيدى .

ولم يتمالك الوزير ابتسامة الارتياح لنباهتها ، ثم أجابها بقلب سعيد :

ـ أنا لم أمنحك شيئًا من عندى يا دكتورة (نادية) .. هذا حقك .. لقد أثبتى أنك كفء ، لا لكرسى هيئة الاستثمار ، بل لكرسى الوزارة ذاته .

كادت شهقة الدكتورة الشابة تفلت منها ، لولا أنها سارعت بالإمساك بنفسها ، وبالكاد أجابت الوزير :

ـ هذا كثير يا معالى الوزير .. هذا كثير ..

وإذا برد الوزير ببساطة :

ـ لماذا كثير يا دكتورة ؟ ألم أكـن أنـا أو أى وزير مجرد موظف صغير يومًا ما ؟ بل إن بدايتك أنت تحديدًا كـانت أكبر كثيرًا من بدايات وزراء كثيرين .

وكان رد الدكتورة مغمورًا بدهشتها التى تبلغ حد الذهول :

ـ أنا لا أنكر هذا يا سيدى .. ولكننى فى الوقت ذاته لا يسعنى إلا الاعتراف بأن الفضل الأول فى ذلك لمعاليك .

ـ بل لاجتهادك ونبوغك يا دكتورة .

وران الصمت الرقيق علـى الاثنين .. الدكتورة أخذهـا فوران مشاعرها بداخلها فى عنفوان يفوق طاقتها ، حتى أن وجهها الفاتن استحال بللورة وردية تسطع بنشوة الحلم الجميل الذى لا يُصدق ..

والوزير راح فى نوبـة تأمله لهـا ، وهـو فى قرارة نفسه مبهور بحسنها وبراعتها وفرحتها التى جعلت منها طفلـة سـاحرة تفوق العصافير رقة وعذوبة وبراءة ..

وانتبهت الدكتورة إلى صمتها الذى فصلها عـن وزيرهـا ، فأسرعت تستدرك الأمر قائلة بابتسامة يملؤها الامتنان :

ـ شكرًا يا معالى الوزير .. شكرًا لسيادتك من قلبى .

وكان رد الوزير بحنوه :

ـ إذا كنتى مصرة على الشكر يا دكتورة فليكن شكرك عمليًا .

أسرعت تجيبه فى لهفة :

ـ ألمرنى معاليك .

ـ الأمر لله يا دكتورة .. كل مـا أريده منك هو أن تترجمى مشاعرك هذه إلى نجاح باهر كما عودتينى من بدايتك .

وكأنما الدكتورة فوجئت .. انفلتت منها غمغمتها الدهشة :

ـ بدايتى ؟!

وإذا بوجههـا ينطفئ ، وتتفشى فيـه مسحة حزن ، وإذا بهـا تطرق برأسها إلى الأرض ، متسائلة فى اختناق :

ـ وأين أنا الآن من بدايتى يا معالى الوزير ؟

وصمتت هنيهة .. ثم أردفت بمرارتها :

ـ فى بدايتى كنـت زوجـة لرجل أعمـال ، أمـا الآن فقد صرت زوجة لـ ...

ولم تستطع إتمام عبارتها .. ولكن الوزير فهم ، فكان رده فى استنكار :

ـ عدنا إلى الكلام الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع يا دكتورة .

همت الدكتورة بأن ترد بشىء ، ولكن الوزير أسرع يقاطعهـا فى حسم مفاجئ ، وكأنه ضاق ذرعا بالأمر :

ـ اسـمعى يا دكتورة .. لقـد سـبق لى أن صارحتك برأيى فى هذا الموضوع .. وأخبرتك عن اقتنـاع بـأن زوجك لـم يخطئ .. ولكــن .. إذا كنت ما زلت ترينها كارثة ، وترين أن هـذه الكارثـة تهـدد قاربك بالغـرق ، فليس أمامك سوى التخلص منها فورًا .

ـ ماذا ؟!!

هكـذا انفلتت هتفـة الدكتـورة فـى نفسـها بدهشـة أقـرب إلــى الصدمة .. ووجدت نفسـها تتطلـع إلـى الوزيـر بصدمتهـا ، وهـى تقول له :

ـ عفوًا معالى الوزير !! لا أدرك ما تعنيه معاليك !

وكان رد الوزير بلا تراجع :

ـ قولى لا يحتاج إلى شرح يا دكتورة .. قاربى مهدد بالغرق بسبب ثقل يجذبه إلى أسفل .. إذن فلأقطع فورًا الحبل الذى يربط قاربى بهذا الثقل !

وفهمت الدكتورة ..

فهمت ، فكانت صدمة ..

صدمة ضربتها بمنتهى العنف ، فجعلتها تنتفض واقفة ، مبعثرة نظراتها فوق الأرض بذهول يكاد يذهب بعقلها .. إنها تريد أن تصرخ بردٍّ ما فى وجه الرجل .. بل تريد أن تصرخ فى وجهه بأمور كثيرة لا يعلمها .. لو علمها ما أخرج نصيحته هذه من فمه ، وما فكر فيها من الأصل .. تريد أن تصرخ ، ولكن فى وجه من ؟ فى وجه وزيرها الذى قفز بها إلى السماء بسرعة الضوء ؟ إنها حتى لا تجرؤ على مجرد الالتفات نحوه بوجهها خوفًا من أن يقرأ عليه ما فجرته نصيحته بداخلها ..

ولكن الرجل قرأ ..

قرأ وكأنه ما قرأ ..

كل ما فعله أنه هز رأسه بمنتهى الهدوء تعبيرًا عن إشفاقه عليها .. ثم نهض خارجًا من وراء مكتبه حتى وقف أمامها يتأملها بنظراته التى تحمل شفقته .. ولم تملك المسكينة إلا أن ترفع وجهها نحوه ، فإذا به مسرحًا لعذاب الدنيا كله ، وإذا بعينيها تصرخان مستغيثين من جحيم لا يرحمها .. واهتز وجدان الرجل العقلانى بطبيعته ، وارتفع صوت قلبه فوق صوت عقله ، فوجد نفسه يبدل لهجته رغمًا عنه .. ويقول لها بمنتهى الحنوّ :

ـ أنا آسف يا دكتورة .

وكان رد الدكتورة عليه نظرة هدرت بعذابها الجم الذى يفترسها بلا رحمة .. فكان رده على نظرتها بحنوه وشفقته :

ـ أعلم .. أعلم كل ما تودين أن تصرخى به ..

ولكنها الأقدار يا دكتورة ..

الأقدار التى دائمًا ما تحط بكل ثقلها على كاهل أصحاب المصائر الكبيرة .. ولا تدعهم يحصدون نجاحًا إلا بعد وضعهم فى اختبارات عسيرة تفوق الاحتمال .

ـ لماذا ؟ أليسوا من لحم ودم مثل سائر البشر ؟

ـ بلى .. ولكنهم يفوقونهم بصيرة وإرادة ، وينعمون بمكانة أسمى فى مسيرة الإنسانية .. وما دام لكل شىء ثمن ، إذن فعليهم أن يسددوا فاتورة سمو مكانتهم .

هكذا اختزل لها الرجل العقلانى مأساتها كلها فى معادلة حسابية طرفيها القمة التى تنتظرها ، والفاتورة التى عليها سدادها فى سبيل تبَوُّئها .. يا لها من معادلة طفحت صعوبتها على وجه الدكتورة ، وجعلت عينيها تتعلقان بعينى الرجل بذبحتها ، وكأنها تناشده مساعدتها فى هذا الاختبار ، فكان جواب الرجل لها ثلاث كلمات لا فوقها :

ـ انظرى إلى الأمام !

ونظرت الدكتورة ..

نظرت بعيدًا ..

فإذا بستائر المستقبل تنفرج أمام ناظريها ، كاشفة عن الحلم الذى يخلب القلب والعقل .. عن ..

عن كرسى الوزارة ..

وإذا بها ترى نفسها معالى الوزيرة (نادية كرم) .

ولا إراديًا وجدت نفسها تلتفت إلى كرسى الوزير الشاغر ، وترسل إليه بنظرة حالمة مفتونة تحمل رجفة القلب ودهشة الحلم .. وإذا بها ترى نفسها جالسة على الكرسى وزيرة حسناء أنيقة تخطف القلب بهالتها وبهائها وحسنها ..

يا له من حلم !!!

حلم بدا أمامه (مصطفى دياب) ببدلة السجن الزرقاء بقعة كالحة كريهة المنظر وجودها كفيل بإفساد الحلم !! وربما بمنع تحقيقه من الأصل !!

* * *

ظل (مصطفى) يضحك فى هيستيريا ودون توقف . حتى خُيل لمأمور السجن وللوزير (كمال أسعد) أنه أصيب بمس من الجنون ، فراحا يتبادلان النظر فى قلق وحيرة وهما واقفان معه فى مكتب المأمور ..

ومضى (مصطفى) فى ضحكه .. ما تكاد تمضى ضحكة حتى يوصلها بأخرى .. حتى انقطع نفسه ، فتهاوى فى مقعده ، محدقًا فى الضابط والوزير ، ومتسائلاً بذهوله وبأذيال ضحكه :

ـ الدكتورة (نادية) ..... طلقتنى ؟ !!!

وانفلتت موجة ضحكه الهستيرى مرة أخرى ، مما زاد الضابط والوزير قلقًا عليه ، فأسرع الأخير يناديه بقلقه الشديد :

ـ أستاذ (مصطفى) !

وأجابه (مصطفى) من غمار ضحكه :

ـ نعم يا سيادة الوزير .

ـ اهدأ ! اهدأ من فضلك !

فكان رد (مصطفى) ممزوجًا بضحكه :

ـ اهدأ ؟! وهل هناك هدوء أكثر من هـذا يـا سيادة الوزيـر ؟! إننى لست فقط هادئ ، بل إننـى مصهلل .. مصهلل جدًا .. ألا ترانى أضحك ؟

وعـاد يضـج بالضـحك مــرة أخرى فـى هيستيريا مخيفـة ، جعلته يبدو حقًـا وكأنـه على شفا الجنـون ؛ ليجد الوزيـر نفسـه يتطلـع إلـى المـأمور فـى قلق عـاصف ، فأسـرع الأخـير ينـاديـه مناشـدًا :

ـ أستاذ (مصطفى) .. أستاذ (مصطفى) .. اهدأ يا رجل ! مـاذا أصابك ؟

وكان رد (مصطفى) عليه بضحكه :

ـ ماذا أصابنى ؟! ألا تدرى ماذا أصابنى يا حضرة المـأمور ؟! طلقتنى الدكتورة (نادية) !!

ولم يستطع الوزير تمالك دهشته :

ـ وهل هناك طلاق يفعل هذا برجل ؟!

ـ نعم يا سيادة الوزير .. طلاق الدكتورة (نادية كرم) لـ(مصطفى دياب) !

ولم يستطع المأمور هو الآخر تمالك دهشته :

ـ وما الدكتورة (نادية) ؟! وما (مصطفى ديـاب) ؟! أليسـا امرأة ورجل ؟!

وكان رد (مصطفى) عليه وهو يحملق فيـه بعينيـه اللامعتين بدموع الضحك :

ـ لا يا حضرة المأمور .. ليسا امرأة ورجـل .. إنهمـا (درش) و(نونَة) .. وما أدراك ما (درش) و(نونَة) ..

ـ (نونَة) فى النهاية امرأة يا رجـل .. فهل يبكـى رجل علـى امرأة فى زماننا هذا ؟!

وإذا بالذى كان يملأ الغرفة ضحكًا يملؤها صراخًا مدويًا :

ـ أخبرتكما بأنها ليست امرأة .. ليست امرأة .. إنها (نونَة) .. (نونَة) .

وإذا بعينيه تبرقان بوميض مخيف ، وهو يحدق فى الرجلين بذهوله الذى قبض على عقله ، وإذا بالكلمات تخرج من جوفه ذهولاً خالصًا وهو يردف قائلاً فى تهالك :

ـ (نونَة) التى تلقفتها بذرة ، فغرستها فى كيانى ، فنمت من دمى ومن لحمى ومن نبضى ..

(نونَة) التى رويتها بكل مخزون حنانى وفكرى ووعيى ..

(نونَة) التى بنيت عودها من عزيمتى ومن صلبى ..

(نونَة) التى وهبتها كل رصيد روابطى بالحياة كى تكون هى رابطتى الوحيدة بالحياة ..

(نونَة) التى .. والتى .. والتى ..

التى لن تكفينى كل كلمات العالم كى أشرح لكما مــاذا تكون لـ (مصطفى دياب) ..

فلا تقولا لى إنها امرأة ..

إنها (نونَة) .. (نو ....

ولم يكملها .. بترها فجأة ، وقد برقت عيناه بلمعة الجنون ، وكأنه تذكر شيئًا مفزعًا ، وإذا به يغمغم بذهوله الجنونى :

ـ الوتد الثالث !!!

وفوجئ المأمور والوزير ، ووجدا نفسيهما يتبادلان نظرة دهشة وتساؤل ، ثم عادا ينظران إليه بدهشتهما وتساؤلهما ، فإذا به يردد بذهوله الذى يهوى به إلى قاع الانهيار :

ـ الوتد الثالث !!

الوتد الثالث !!

الوتد الـ ....

وهوى فى مقعده ، منكفئًا بوجهه على كفيه ، ومنفجرًا فى البكاء ، بينما المأمور والوزير السجين يحدقان فيه مذهولين ، لا يفهمان شيئًا .

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

تحـول القصـر الأنيق الذى يتوسـط الحى المتمـيز بمدينـة (أكتوبر) ، والذى لم يمض على شـرائه وتجديده وتأثيثه شـهر إلـى بانوراما تسطع بالبهجـة والجمـال .. تـلألأ بهـوه الرئيسـى بفيض من أنوار النجف الفاخر العملاق ، وعج بعشرات الضيوف المتأنقين ذوى الوجوه السـاطعة بـالعز والرفاهية ، والابتسـامات المشرقة التـى لا يعرف لهـا الهم طريقًا .. إنهـم نمـور رجـال الأعمال ، ونجوم الوسـط السياسى والاقتصـادى فـى (مصـر) .. جاءوا جميعًا لمشاركة سيدة القصر الدكتورة (نادية كرم) احتفالها باعتلائها كرسى هيئة الاستثمار فى (مصر) ..

وفى حياتها كلها لم تبد الدكتورة الشابة بهـذا الجمـال والبهـاء والسعادة ، وهى تحلّق بين ضيوفها كفراشة فاتنة محمومة بفرحتها .. مضت توزع عليهم ترحيبها الحميم وشكرها وابتسـاماتها الخلابـة ، وتتلقى منهم تهنئاتهم وإعجابهم الطـاغى بهـا .. ومضـى المدعوون فى توافدهم .. وإذا بالدكتورة الفاتنة أمام مفاجأة من العيار الثقيل ..

مفاجأة كادت تجعلها تسقط من طولها ..

(حسين الزيات) !!!!

نعم .. (حسين الزيات) !!

زميلها الجامعى (الجحشون) المتطرف الحنجورى الفظ ..

ها هو يقف أمامهـا رجـلاً وسيمًا رقيقًـا بهيًـا فـاخر المظهر ، حتى إنها لم تشـعر بوجود لحيتـه الرقيقـة المهذبـة ، التـى تحف وجهه فى حياء ..

وانتبهت الدكتورة من وقع المفاجأة الثقيلـة علـى صوت رجل الأعمال الذى جاء به يقدمه لها :

ـ (حسين) بك (الزيات) رئيس مجلس إدارة شركة (فـايكوم) للاتصالات فى (دبى) !!

مفاجأة أخرى أكثر ثقلا ، جعلتها تبدو شبه غائبـة عن الوعى وهى تمد يدها له مصافحة :

ـ أهلا (حسين) بك .

وإذا برد ضيفها المفاجأة بابتسامة ساحرة :

ـ منذ سنة وأنا أتحيّن هذه الفرصة يا دكتورة .

وإذا برد الدكتورة مداعبة ، رغم دهشتها :

ـ أتعنى أنك كنت ناسينى قبل هذه السنة ؟

وكان رده بابتسامته الساحرة :

ـ الأقمار لا تُنسى يا دكتورة (نادية) .

لمعت عينا الدكتورة بالدهشة ، ووجدت نفسها تتفرسه ، مرددة بدهشتها :

ـ سبحان مغير الأحوال يا .... (حسين) بك .

وعند هذا الحد لم يستطع رفيقهما صبرًا ، فأسرع يسألهما فى دهشة :

ـ ما كل هذا ؟ هل تعرفان بعضكما ؟!

وإذا برد الدكتورة بشقاوتها :

ـ معرفة الجنة والنار .

ثم أردفت :

ـ تفضلا ..

وقادتهما إلى ضيوفها تقدمهما لهم .. ولم يأخذها منهم سوى تلك الهمهمات التى سرت فجأة فى القاعة فقد حضر الضيف الكبير الذى كانت الدكتورة تتوق إلى حضوره .. إنه وزيرها العزيز الذى أقبل بهالته وبشاشته وحنوّه الذى يرويها .. وأسرعت الدكتورة تتلقاه بحرارة وحميمية استوقفت الجميع ..

ومضت به إلى مجلسه فى صدر القاعة ، بعد أن صافح عددًا كبيرًا من الحاضرين .. وليبدأ الاحتفال البهيج الذى امتد حتى آذان الفجر .

* * *

على متن يخته (الشيماء) الراسى على شاطئ (دهب) بمدينة (شرم الشيخ) استقبل (حسين الزيات) الدكتورة (نادية) استقبالا ملكيًّا ، تحرك بعده اليخت متهاديًا كبطة بيضاء تستمتع برحلة استرخاء فوق المياه الفيروزية المتلألئة بالزرقة ..

كان جو (مايو) الربيعى ينعش الأعصاب والروح ، وكان البحر الفيروزى اللون فى قمة وداعته ورقته ، وقد طرح نفسه فى استسلام المتلذذ تحت شمس العصارى الرقيقة المسترخية على صفحة السماء الرحيبة ، تداعبها بعض نطف السحاب الأبيض الماضى فى رحلته الجليلة إلى وجهته التى لا يعلمها إلا المولى عزّ وجل ..

وعلى جانبى المأدبة الحافلة بأندر وأغلى صنوف الأسماك جلست الدكتورة ، ومضيفها يتناولون غذاءهم ..

ومن المأدبة السمكية إلى مائدة الشاى على نسمات البحر ، حيث جلس الاثنان قبالة بعضهما يرتشفان شايهما ، ولتجد الدكتورة

نفسها مستغرقة فى تأمل غريمها القديم ، ولتجد نفسـها تبتسم مرغمة ، فلم يملك الغريم القديم إلا أن يداعبها برقته ورقيه :

ـ لعله يكون خيرًا ما وراء هذه الابتسامة الفاتنة .

ازدادت ابتسامة الدكتورة الشابة طربًا ، ثم أجابته :

ـ خيرًا طبعًا يا (حسين) بك ..

ثم أردفت بعد شىء من التردد :

ـ أنا فقط كنت أتساءل : أية قوة هذه التى حولت النـار إلى جنة ؟!

ولم يتمالك (حسين) ابتسامته ، ثم أجابها فى ذكاء :

ـ وهـل يستعصى جـواب سؤال كهذا على عبقـرية الدكتـورة (نادية) ؟

وكان ردها فى تبسُّم ، بعد أن تأملته مليًّا بعينيهـا الزيتونيتين الفاتنتين :

ـ لا .. لا يستعصى .

وترددت قليلاً قبل أن تكمل إجابتها ، وكأنها تقر حقيقة تفـرض نفسها :

ـ إنها لعبة المصالح .

وإذا بـالرجل بـدلاً من أن يدفـع الوصمـة عن نفسـه ، يجيبهـا بهدوء كله إعجاب :

ـ برافو يا دكتورة !! بهذا وفرتِ علىَّ مسافة كبيرة .

أومأت الدكتورة برأسها متفهمة ومشجعة ، فأردف هو :

ـ إذن فلندخل فى المفيد .

ـ كلى آذان صاغية يا (حسين) بك .

أمسك (حسين) بفنجانـه ، وراح يرتشف الشـاى فـى تمهـل واضح ، وكأنه يعطى لنفسـه الفرصـة ، ليتدبر كلماتـه .. بضعـة رشفات وأعاد الفنجان إلى مكانه ، ثم رفع وجهــه نحو الدكتـورة قائلاً بلهجته المتأنية :

ـ جئتك فى موضوع الساعة فى استثمارات (مصر) يا دكتورة .

قطبت الدكتورة جبينها متسائلة ، فأردف يجيبها :

ـ شبكة المحمول الثالثة .

زالت نظرة التساؤل من عينـى الدكتـورة ، لتحل محلهـا نظـرة تعجب وهى تجيبه :

ـ هذا موضوع الاتصالات .

وكان رد (حسين) بتبسمه :

ـ وموضوع استثمارى أيضًا يا دكتورة .

وتأملها بنظرة خبيرة ، ثم أردف :

ـ وما أظننى أخطأت الطريق حين قصدت رئيسة هيئة الاستثمار .

وكان رد الدكتورة فى تحفظ :

ـ عفوًا يا (حسين) بك ، ما قصدت ذلك .. ولكننى فقط أراك اخترت طريقًا جانبيًا .

وكان رد الرجل فى رصانة :

ـ فى رأينا نحن لا يا دكتورة .. فأولاً رئيسة هيئة الاستثمار تملك فى يدها كل خيوط الاستثمار فى (مصر) .. ثانيًا معلوماتنا عنك يا دكتورة تقطع بأنك تملكين المفتاح السحرى لكل الأبواب المستعصية .

شىء ما استوقف الدكتورة فى حديث الرجل ، جعلها تنتبه له قائلة :

ـ لاحظت أنك تتكلم بصيغة الجمع يا (حسين) بك !

ابتسم (حسين) لفطنتها .. وكان رده بتبسمه :

ـ نحن تحالف يضم مجموعة شركات عملاقة لها وزنها فى أنحاء العالم .

ـ أمن حقى معرفتها ؟

ـ بالطبع .

وإذا به يشير إلى أحد مساعديه الواقفين على مقربة منهما ، فيسارع الرجل بمناولته ملفًا أنيقًا ، ناوله (حسين) للدكتورة قائلاً :

ـ كل ما تودين معرفته عنها موجودًا فى هذا الملف .

فتحت الدكتورة الملف ، مارة على صفحاته بنظرة سريعة ، أغلقته بعدها فى هدوء ، رافعة وجهها إلى الرجل ، فإذا به يسألها بلهجته الراقية :

ـ طلباتك يا دكتورة .

فوجئت الدكتورة :

ـ (حسين) بك .. ماذا تعنى ؟!

ولم يتمالك الرجل إلا الابتسام لدهشتها هذه ، ثم أجابها بتبسمه :

ـ دكتورة (نادية) : أخبرت سيادتك أن لدينا معلومات كافية عنك .

أسقط فى يد الدكتورة ، ولم تملك إلا التنازل عن دهشتها ، ولكن فى الوقت ذاته سرعان ما أدركتها فطنتها ، فكان ردها فى ذكاء :

ـ إذن فأنتم تعلمون أن الأمر بيدى .. وأن لى طلبات .

وكان رد الرجل ببساطة :

ـ نعم يا سيدتى .. نعلم ذلك .. ونثق فيه .

وتريث قليلاً حتى تستوعب الأمر ، ثم عاد يسألها :

ـ طلباتك يا دكتورة .

هنـــا أُسـقط فى يد الدكتـــورة مـرة أخـــرى ، وأفلتت منها حيرتها ؛ لتطفح على وجهها ، فمـا كـان من الرجل إلا أنه أردف قائـلاً :

ـ إذن فلأطرح لك أنا عرضنا .

انتبهت له بكل حواسها ، فأردف هو بهدوئه :

ـ عشرة ملايين جنيه + 2٪ من الأرباح .

قنبلة اخترقت كيان الدكتورة الشابة ؛ لتتركها متسمرة النظرات على وجه الرجل فى ذهول أقرب إلى الصدمـة .. ولـم يخـف ذلـك على الرجل ، ومع ذلك لم يتخل عن بساطته وهو يسألها :

ـ ها يا دكتورة .. ما رد سيادتك ؟

وصمت متطلعًا إليها فى انتظار جوابها ، فإذا بنظراتها تواصل زحفها على وجهه بذهولها العاتى ، ولكن ما هى إلا لحظة حتى

استعادت توازنها ، فـإذا بها تسحب نظراتها من فوق وجهه ، وتدير وجهها تجاه البحر ، مرسلة بصرها على امتداد صفحته الزرقاء الرحيبة ، ومطلقة العنان لعقلها كى يعمل بأقصى طاقته ..

قد تكون هذه هى صفقة العمر لها .. ولكنها صفقة محفوفة بأخطر المخاطر .. فصاحبنا هذا من كبار ممولى الجماعة المحظورة فى (مصر) ـ وفقًا للمعلومات التى جمعتها عنه قبل تلبيتها لدعوته ـ وبالطبع هذا التحالف الذى يمثله ، ويتحدث باسمه يمثل الشريان الاقتصادى لهذه الجماعة .. وهذا معناه باختصار أنها فى حالة موافقتها على وضع يدها فى أيديهم فإنها تضعها فى شق الثعبان .. ولكن ما العمل إذا كان ما ينتظرها فى شق الثعبان هذا بيضة ماسية ؟

ما العمل ؟!

هل تغامر وتختطفها ؟ أم توليها ظهرها ويا دار ما دخلك شر ؟

ولكن هل أنت يا دكتورة (نادية) من الصنف الذى يفرّط فى بيضة كهذه مهما بلغت خطورة المغامرة ؟

هكذا بلغ عقل الدكتورة الشابة السؤال ، والذى طرح جوابه لنفسه .. فإذا بها تعود بوجهها إلى الرجل الذى لم تبرح عيناه وجهها طوال رحلتها مع نفسها ؛ لتنظر إليه طويلاً قبل أن تهزّ له رأسها بالموافقة .

* * *

الفصل الثانى عشر

توقفت عينا (مصطفى دياب) على وجه الدكتورة (نادية) طويلاً .. طويلاً .. طويلا ..

وقفة قيل فيها الكثير .. والكثير .. والكثير .. وما تعجز عن قوله كل ألسنة البشر مجتمعة ..

وبدا (مصطفى) فى وقفته ، وبآثار السجن الطافحة على هيئته ، وكأنه كتلة من صخور نُحتت على هيئة آدمى معجون بالعذاب .. وبدت عيناه الواسعتين المسلطتين على وجه الدكتورة وكأنهما بركانين عملاقين مكتومين خلف حاجز زجاجى رهيب ..

وظلت عيناه مسلطتين على وجه الدكتورة بتلك النظرات التى يشيب لها الولدان ، حتى شعرت الدكتورة بأنها ستسقط من طولها .. فإذا بها فى لمح البصر تنتبه لنفسها ، فتتخلص من قبضة صدمتها ، وتشحن نفسها بشخصية الغريمة الشرسة المتحفزة ، لتقول له فى ثبات وبرود :

ـ حمدًا لله على السلامة .

وكان رده بنظراته وبلهجته الصخرية :

ـ الله يسلمك يا دكتورة .

ـ متى خرجت ؟

ـ اليوم .. من ساعتين فقط .

رفعت حاجبيها دهشة :

ـ من ساعتين وعرفت مكانى هنا ؟ يا لك من نشيط !

انفلتت منه ابتسامة داكنة مثل نفسيته ، بينما لم تجد هى مفرًا من دعوته إلى الجلوس :

ـ تفضل .

جلس وجلست هى قبالته واضعة ساقًا فوق ساق ، ومنتظراه حتى يفرغ من دورة عينيه فى بهو القصر ، ثم بادرته متسائلة فى جفاء عجيب :

ـ خير ؟

لم يُفاجأ بسؤالها ولا بلهجتها ، بل راح يشعل لنفسه سيجارة بمنتهى الهدوء ، ثم رفع عينيه نحوها ، وراح يتفرسها بنظرة طويلة نافذة ، توغلت فى أعمق أعماقها ، ثم أجابها بهدوئه :

ـ ثلاثة ملايين جنيه .

سكنت عينا الدكتورة على وجهه تتفرسه هى الأخرى بنظرة موغلة ، ثم سألته :

ـ أية ثلاثة ملايين ؟

ـ الأمانة التى عندك .. نصيبى من الميراث .

بدت مندهشة لما تسمع :

ـ الأمانة ؟! ونصيبك من الميراث ؟!

ـ نعم يا دكتورة .

عادت تتفرسه بنظراتها الموغلة ، وعادت تسأله بدهشتها البادية :

ـ أهذا هو ما جاء بك بهذه السرعة ؟!

وكان رده بهدوئه :

ـ نعم .

وجئت مقتنعًا بأن هذه النقود أمانة عندى ؟

ـ نعم .

وجئت تستردها ؟

ـ نعم يا دكتورة .. جئت أستردها ، إن لم يكن لديك مانع .

ـ إذن فأخبرنى يا أستاذ كيف أسترد أنا أيضًا ما أخذته أنت منى .

فوجئ (مصطفى) :

ـ أو هل أخذت منك شيئًا يا دكتورة ؟!

انفلتت منها ابتسامتها الساخرة :

ـ إذن فهذه هى مشكلتك يا أستاذ .. فكرت فقط فيما لك ، ولم تفكر قط فيما عليك .

اشتدت الدهشة على (مصطفى) ، ووجد نفسه يحدّق فيها متسائلاً بمنتهى الحيرة والانفعال .. ولكنه ما لبث أن انتبه إلى نفسه ، فإذا به يفطن إلى حقيقة كادت تروغ منه ، وهى أنه الآن ليس أمام (نونَة) تلك القطة البريئة الوديعة الناعمة التى رباها على يديه ، بل أمام الدكتورة (نادية كرم) التى صارت نمرًا عفيًا متناهى الجبروت ، بل وصارت أمعاؤه فى قبضتها الآن .. وإذن فعليه التسلح بالصبر والعقل فى مواجهتها ، وإلا خسر .. وجد نفسه يخاطبها فى أدب لا يخفى شلالات غليله وقرفه وتهكمه :

ـ عفوًا يا دكتورة .. سيادتك رغم أنف الجميع دكتورة ، وما أنا إلا حامل إعدادية ، فهل يمكنك التفضّل علىّ بتبصيرى بما أخذته من سيادتك ؟

لم تندهش الدكتورة لتبدل لهجته ، فقد كانت نظرة واحدة منها في عينيه كافية لأن تتأكد من أن وراء مهادنته المفاجئة هذه صلابة تعرفها جيدًا ، ولأن تدرك أن عليها أن تتحسب لكلماتها أيما تحسب ، ومن هنا كان تريثها وتدبرها لكلماتها قبل أن تسأله بهدوء لا يخفى ما بنفسها :

ـ أستاذ (مصطفى) : عندما تزوجتنى ماذا كنت أنا ؟

وكان رده بدهاء لا يقل عن دهائها :

ـ كنت زينة البنات : جمال وعلم وفخر لى .

وعندما طُلقنا من بعضنا ماذا كنت ؟

أجابها متذرعًا بالصبر :

ـ كنت الدكتورة (نادية كرم) التى يشار لها بالبنان .

ـ وزوجة السجين التى يُشار لها بالبنان أيضًا .

قذيفة نارية شطرت كيان (مصطفى) ، وليت صاحبتنا اكتفت ، بل مضت تكمل عليه بقلب ميت :

ـ أى أن سيادتك أخذتنى فخرًا وتركتنى وصمة .

وجد الرجل نفسه يسألها مذهولاً :

ـ أنا الذى تركتك ؟! وأنا الذى جعلتك وصمة ؟!

أكملت وكأنها لم تسمعه :

ـ وتجيئنى الآن لتقول لى « مالى » ؟

تجمد النفس فى حلق الرجل ، بينما قفزت هى إلى غايتها :

ـ لو فكرت فىّ كما فكرت فى نفسك لأدركت أن مـالك هذا مـا هو إلا أبخس تعويض عما فعلته سيادتك بى .

هكذا أنهتها الهانم ..

وهكذا مات الكلام ..

ليطبق الصمت ..

صمت ثقيل ثقيل ، أثقل من كل رواسى الأرض مجتمعة ..

ولم يعد هناك صوت سوى صوت العيون ..

عينان جاحظتان مسعورتان تغليان وتصرخان صراخ المـوت .. هما عينا (مصطفى) ..

وعينان يقظتان متأهبتان تردان بزئير التحدى والعنـاد .. همـا عينا الهانم ..

ونهض الرجل بمنتهى البطء من فرط جنونه ، وراح يتقدم من الهانم بعينيه الجاحظتين المسعورتين ، وبقلبه المشتعل نارًا .. ونهضت الهانم فى مواجهته متأهبة ومتسائلة وقد انفرط عقد عنادها :

ـ ماذا يا ابن (دياب) ؟ هل نويت أن تضيّع نفسك ؟

وجاءها جواب ابن (دياب) فى لمح البصر ..

قفـز فوقهـا مطبقًا على عنقها بقبضتى (عشـماوى) .. وهو لا يدرى أنهـا سـبقته بضـغطة زر فـى موبايلهـا ، انشقت على أثرها الأرض عن أربعة (بودى جارد) فى حجم الأفيال ، انقضوا عليه فى قفـزة واحدة ، مشلين حركتـه تمامًـا .. ولتصرخ فيهم الهـانم :

ـ (ظبّطوه) !

ثم ألقوا به فى الشارع !!!!!!

★ ★ ★

نهض مصطفى من فوق الأرض وهو يئن من آثار الضرب .. مسح الدمـاء التى انسابت من فمـه بيده ، ثـم مضى يجر قدميه

حتى بلغ نهاية الشارع الذى يقع فيه قصر الهانم ، فإذا بتاكسـى يقف بالناصية .. ألقـى بجسده بداخلـه ، طالبًـا مـن السـائق أن يمضى إلـى (كفر الباشـا) .. وحـاول السـائق أن يتهـرّب مـن توصيله جزعًا من هيئته ، وكان رد (مصطفى) فى حسم :

ـ سأمنحك ما تريد .

انطلق به السائق .. ساعة تقريبًا وكان (مصطفى) يدخل بيت (كفر الباشا) ..

البيت الذى شهد أصل الحكاية ، وليالى الحب الأفلاطونـى .. وعلى سطحه أخذ الحبيبـان (درش) و (نونـة) علـى نفسيهما ميثاق الوفاء الأبدى !!

يا لدراما الأيام !!

لم يكن بالبيت أثرًا لأثـاث .. من أخذه ؟ لا يـدرى .. لـم يكن هناك سوى قطعة كرتون تفترش البلاط .. ألقـى بجسده فوقهـا ، وأغمض عينيه مسلمًا نفسه لنوم عميق ..

كم مضى عليه من الوقت وهو نائم ؟

لا يدرى .. أيقظته أشعة شمس ظهيرة اليوم التالى والتى اقتحمت عليه الغرفة من شيش النافذة المتهالكة .. مضى إلى الحمّام ، وخرج منه بعد قليل وهو يجفف وجهه من ماء الاغتسال بيديه ، فلا مناشف ولا أى شىء فى البيت المهجور .. فتح نافذة الغرفة المغطاة بالتراب ، فإذا أمام البيت بطفلة لا تتجاوز العاشرة من عمرها ترقص وتغنى أغنية (العنب العنب) بمنتهى الاندماج .. هم بأن يطلب منها أن تشترى له شيئًا ما ، ولكنه تراجع حتى لا يقطع عليها وصلتها .. أغلق النافذة ، واستدار مغادرًا البيت .. مضى يجوس بين أزقة الحى التى تشبه شقوق الثعابين .. اختفت المروج الخضراء الجميلة التى كانت إحدى شهود الحكاية ، وتكدست مكانها بيوت متواضعة كئيبة تخلو من أية لمسة ذوق أو بهجة أو جمال .. بلغ الطريق الأسفلتى التى طالما وقف عليه بسيارته الملاكى انتظارًا للحبيبة التى كانت .. استوقف تاكسيًا طالبًا منه أن يقلّه إلى (منشية ناصر) .. غادر التاكسى فى الشارع الوحيد الذى يشطر الحى العشوائى العتيق نصفين .. استوقف طفلاً يشبه القنفذ يسأله عن حارة (شلبية) .. قاده الطفل إلى البيت الذى ينشده .. استأذن الطفل فى السؤال عن الأسطى (أبو تريكة) داخل البيت .. لحظات وخرج إليه (أبو تريكة) الذى كان يقارب الخمسين من عمره ، ليقول له بلهجة جافة مثل هيئته :

- أهلاً يا أستاذ .. أنا (أبو تريكة) .. خير ؟

ولم يجبه (مصطفى) .. ترك الرجل يدقّق فيه النظر كى يعرفه .. فإذا بالرجل يعيد سؤاله بنفس لهجته الخشنة :

- خير يا أستاذ ؟

وجاءه رد (مصطفى) بلهجته الحزينة :

- أنا (مصطفى دياب) يا (أبو تريكة) .

تسمرت كل خلجات الرجل ، وحدقّت عيناه فى وجه الزائر ، وهو يسحب يديه من جيبى جلبابه المتواضع ، مغمغمًا فى ذهول :

- (مصطفى دياب) ؟!!

- نعم يا رجل (مصطفى دياب) .. هل نسيتنى ؟

وإذا بهتفة الرجل من قلبه :

- لا .. لا ..

وإذا به ينقض على (مصطفى) مختطفه فى حضنه هاتفًا بمنتهى الانفعال :

ـ (مصطفى) بك .. (مصطفى) بك .. الغالى ابن الغالى .

وإذا ببكاء الرجل يغلبه وهو يعتصر زائره الغالى فى حضنه مرددًا بنشيج البكاء :

ـ حمدًا لله على السلامة يا ابن الأصول ..

ألف مليون حمد لله على السلامة ..

* * *

وبالإلحاح الذى لا يُحتمل .. وبالقسم بأغلظ الإيمان وجد (مصطفى) نفسه يجلس إلى مأدبة الغذاء التى أعدت له فى أقل من ساعة .. دجاج وأرز وخضار ثلاثة أصناف ، فضلاً عن السلاطات والخبز البلدى الطازج وطبق الفاكهة الضخم .. وإذا بزوجة (أبو تريكة) بشخصيتها الشعبية الجريئة ، وابنته الشابة الجميلة ، التى لا تقل جرأة عن أمها يحيطان بالضيف الكبير ، وإذا بالزوجة تقول له :

ـ كل يا باشا لتخبرنى برأيك فى عمل يدىّ .

وإذا بالابنة الحسناء تقول له بنفس الحميمية وخفة الظل :

ـ (مصطفى) بك .. لن تخرج من هنا إلا إذا التهمت هذا الطعام كله .

انفلتت من (مصطفى) ابتسامة ليس بها ذرة فرح ، ثم راح ينقل نظراته بينهما قائلاً بلهجته الحزينة :

ـ يا لكم من ناس طيبين .

وكان رد الابنة بمنتهى خفة الظل والشقاوة :

ـ والنبى لو قلت فينا كل أشعار (المتنبى) ما تركناك تخرج من هنا حتى تفرغ كل هذه الصحون فى بطنك .

وكتم الضيف الحزين ضحكته .. ووجد نفسه يتأمل الفتاة الفاتنة مليًا ، فإذا بقلبه الجريح يبتل بعذوبة جمالها .. ولكن القلب الجريح سرعان ما بصق هذا الشعور الطيب ، وكأنه سمٌ زعاف .. فقد تذكّر على الفور أن (نونّة) هانم كانت تبدو فى مطلعها بمثل هذه العذوبة وأكثر ، فإذا بها مع الأيام تنزع جلدها بيدها ، كاشفة عن حية معجونة بالسم الزعاف ..

وانفرد (أبو تريكة) بضيفه ..

وفوجئ بغرضه من الزيارة ..

لقد جاء يطلب شراء مسدس .. ولم يدر (أبو تريكة) بماذا يجيبه .. إنه لا يجرؤ على سؤاله عن غرضه من مطلبه هذا ، فهو فى نهاية الأمر ليس أكثر من ساعى مكتبه سابقًا .. صحيح

أنه كان مقربًا إليه إلى حد أثار حفيظة الحاج (دياب) نفسـه فـى وقت مـن الأوقـات .. ولكنـه فـى نهايـة الأمر لا يزيد عن كونـه خادمًا سابقًا له .. وهو فى الوقت ذاته لا يستطيع ردًا أول طلب يطلبه منه ولى نعمته الذى طالما أغرقه بعطفه وأفضاله ..

إذن فهو لا يملك إلا التنفيذ ..

ولكنه فقط إستأذنه أن يمهله يومين لا أكثر .

* * *

وفى نهاية اليومين .. وبينما كان الليل والخلاء يطبقـان علـى الشارع الذى يقع فيه قصر الدكتورة (نادية) ، كـان هنـاك شـبح قابعًا فى جوف العتمة ، على بعد خطوات قليلة من بوابة القصـر .. وظل قابعًا فى مكانه بمنتهى السكون لأكثر مـن ثـلاث سـاعات ، لا يشعر به أحد من المارة الذين يظهرون فى الشـارع مـن حيـن لآخر ..

حتى حدث ما جعله ينتفض واقفًا ..

فقد ظهر له هدفه ..

وفى لمح البصر كان (مصطفى ديـاب) يسدد فوّهـة مسدسـه نحو الدكتورة (نادية) التى ظهرت بباب القصر ..

وتحرك أصبعه على زناد المسدس ..

ولكن أعيرته لم تنطلق .

فقد فوجئ بنفسه مخطوفًا داخل سيارة ميكروباص تعج بفريق من الرجال الأشداء !!

* * *

الفصل الثالث عشر

ظل (مصطفى دياب) يحدق فى الرجل الفخم المهيب الواقف أمامـه وهو عاجز عن التفوّه ببنت شفة من ثقل المفاجأة .. فلم يكن الرجل سوى صديقه السجين السابق والوزير السابق (كمال أسعد)، والذى وقف يتأمل (مصطفى) بابتسامة تقطر حنانًا وأبوّة ، وبنظـرة طويلة باسمة أكثر حنوًا قبل أن يسأله فى عتاب رقيق :

ـ ألم تعدنى يوم خروجى بالاتصال بى فور خروجك ؟

ولم يجبه (مصطفى) ، بل راح يواصل تحديقه فيه بذهولـه العاصف ، وبعجزه عن النطق ، فما كان من الوزير إلا أن داعبه قائلاً :

ـ ماذا ؟ هل أطعموك سد الحنك ؟

وكان على الصامت أن يتكلم ، فكان سؤاله الذى حمل جم ذهوله :

ـ كيف ؟!

وجاءه رد الوزير ببساطة عجيبة :

ـ أبلغنى العميد (أحمد) مـأمور السـجن تليفونيًا بخروجك ، فاتصلت بالدكتورة (نادية) ، فـأخبرتنى بمـا حدث ، فخمّنـت مـا ستفعله أنت ، فأرسلت رجالى ليكونوا فى انتظارك ..

هكذا أجابه الوزير العجيب ببساطة مدهشـة أشبه بالمداعبـة ، وهو يدس يديه فى جيبى بنطلونه ، وكأنه فى موقف سمر ، ممـا زاد (مصطفى) دهشة فـوق دهشته ، فبدا مثيرًا للشفقة ، ممـا جعل الوزير يسارع بإنهاء الموقف قائلاً :

ـ كل ما عليك الآن أن تتنـاول طعـامك ، ثـم تنـام مـا استطعت حتى ترحم أعصابك .. وستكون (عايدة) معك هنا لخدمتك .

وأشـار بعينيـه إلـى الخادمـة الشـابة الواقفـة خلفهمـا ، فـالتفت إليها (مصطفى) بدهشته التى فاقت حد الذهول ، ثـم عـاد يحدّق فى الوزير بذهولـه وبنظراتـه المتسـائلة ، فكـان رد الوزير علـى نظراته ببساطته المدهشة :

ـ هذه شقتك ، وشقتى ملاصقة لها .. أى أننى معك .

وراح الرجل يحتويـه بنظـرة أخيرة تفيض حبًا وحنانًـا ، ثـم استدار منصرفًـا بابتسـامته الهادئـة العجيبـة، ويديـه فـى جيبـى بنطلونه ، تاركًا (مصطفى) متسـمرًا فـى وقفتـه ، يشيعه بنظـرة تهدر بانفعالات لا يعرف هو نفسه وصفًا لها .

* * *

انطلقت الجيب المرسيدس بـ (مصطفى دياب) قاصدة فندق (النيل هيلتون)، كانت الساعة تقارب الثالثة عصرًا حينما بلغت الفندق .. وقاده مرافقه الشاب الأنيق إلى ملعب التنس وهناك تركه على جانب الملعب واقفًا بمفرده يرقب (كمال أسعد) وهو يلاعب حسناء فى رشاقة الغزال البرى وفتنة المهرة البكر ..

وبدا (كمال أسعد) محترفًا فى ضرباته، بينما بدت غريمته أكثر حركة ويقظة، وهو ما أضفى على المباراة إثارة متناهية .. ولكن لا جمال اللاعبة، ولا إثارة المباراة حركتا شيئًا فى (مصطفى) .. فقد كان الغم الذى يعجن قلبه يمسك بكافة أحاسيسه وحواسه .. وهو ما جعله يظل ساكنًا فى مكانه، يرقبهما بغمه وجهامته، حتى أقبلا عليه لاهثين .. وانتظر الوزير حتى انتظمت أنفاسه، ثم بادره قائلاً ببساطته وحميميته الحلوة:

ـ أهلاً يا (درش).

وأشار إلى اللاعبة الفاتنة الواقفة إلى جواره:

ـ مدام (جى جى) أختى .. مطلقة وتبحث عن عريس.

بُوغت (مصطفى) بقول الرجل، فإذا بالرجل يكمل عليه:

ـ ليتك تحملها وتريحنى منها.

وفغر فاه (مصطفى) .. فإذا بالفتاة الفاتنة تتدخل قائلة بنفس بساطة أخيها:

ـ لا تتعجب يا (درش) .. هذا هو (كمال أسعد).

ورمقت أخيها بنظرة باسمة، ثم عادت تردف لـ (مصطفى):

ـ تصدّق بالله، حتى وهو وزير كان يفعل ذلك مع البواب.

وإذا بقذيفة (كمال أسعد):

ـ ماذا تعنين يا فاتنة ؟ إن (درش) يشبه البوابين ؟

كادت الفتاة تصرخ فيه غيظًا، لولا أنها سارعت بزم شفتيها، واستدارت منصرفة بزيها الأبيض القصير .. مهرة تخطف القلب بفتنتها .. وشيعها شقيقها بنظرة باسمة، ثم التفت إلى (مصطفى)، فإذا به ما زال يحدّق فيه بدهشته، فلم يملك الرجل إلا أن يسأله متعجبًا:

ـ ما بالك يا رجل ؟ ألا تشبع حملقة فىّ ؟.. هيّا.

ومضى به إلى غرفة الملابس .. استبدل ثيابه، ثم خرج بصديقه المتجهم مرة أخرى إلى الجيب المرسيدس التى كانت تنتظره أمام الفندق .. صرف السائق ليقودها هو بنفسه .. انطلق بها وهو يدندن مع صوت المطربة العالمية الفاتنة (جنيفر لوبيز)

المنساب من كاسيت السيارة بأغنيتها الشهيرة (جنتك مشتاقة) ، بينما صديقه المتجهم بجواره لا يتحرك له ساكنًا ، حتى بلغا أهرامات الجيزة .. وتوقف الوزير بين الأهرامات و (أبو الهول) ، وغـادر السيارة طالبًا من (مصطفى) صحبته ، وراح يترجّل معه حتى توقف أمـام (أبو الهول) واضعًا يديـه فـى جيبـى بنطلونـه ، ومرسلاً نظراته إلى التمثـال الخـالد فى نوبـة تـأمل عميق بـدت وكأنها وصلة مناجاة عجيبة بين الرجل والكلب العجيب الذى قهر الزمـن .

وفرغ الرجل العجيب من وصلته ، فإذا به يلتفت إلـى (مصطفـى) الواقف إلى جواره يتأمله بنفس العمق فى نظرة طويلـة ، ثم يسألـه بجدية غريبة عليه :

ـ كيف حالك الآن ؟

وأجابه (مصطفى) بوجومه .

ـ الحمد لله .

ـ أتعنى أنك بخير ؟

تعجب (مصطفى) لأمر الرجل ، ولكنه لم يملك إلا إجابته :

ـ الحمد لله .

ـ وعقلك الآن بخير ؟

انفلتت من عينى (مصطفى) نظرة دهشة طاغية إلى الرجل ، فإذا بالرجل يعيد سؤاله بنفس هدوئه :

ـ أجبنى يا أستاذ من فضلك .. هل عقلك الآن بخير ؟

طفح الغضب على وجه (مصطفى) وفى نبرته :

ـ وهل كان عقلى مريضًا يا (كمال) بك ؟

وكان رد الوزير بنفس هدوئه :

ـ اسأل نفسك .

ـ ماذا ؟

تفرسه الوزير بنظرة ثاقبة ، ثم أجابه :

ـ اسأل نفسك عن رجل أعمال ابن ناس طيبين زج بنفسه فى السجن سبع سنوات بسبب تهوره فى خلاف عائلى لا يخلو منه بيت .. وبدلاً من أن يستوعب الدرس القاسى ، ويعالج نفسه من تهوره الذى ضيّعه ، يعاود ارتكاب نفس الغلطة قبل مرور 48 ساعة على خروجه من السجن .

وزم الوزير شفتيه تعجبًا ، ثم مضى يسأله بتعجبه :

ـ بماذا تصف رجل يتصرف بهذه الطريقة يا (مصطفى) بك ؟

ولـم يجبـه (مصطفـى) بشـىء ، فمـا كـان مـن الوزير إلا أنـه مضى يقذف به أمام الحقيقة بمنتهى القرف :

ـ هل هناك مرض عقلى أشد من هذا يا حضرة المحترم ؟

وانفلتت أعصاب (مصطفى) :

ـ سيادة الوزير !

وكان رد الوزير فى عصبية أشد من عصبيته :

ـ نعم يا سيادة رجل الأعمال .

ودنا منه وقد انفجر غيظه :

ـ ماذا يا رجل ؟

ماذا إذا لم تكن رجل أعمال عصامى طحنك السوق وعركتك الأيام ؟

ماذا إذا لم تكن رجلاً مثقفًا مسلحًا بخبرات وبصيرة عباقرة البشر ؟

ماذا إذا لم تكن من بيت طيب وابن ناس طيبين ؟

ماذا تركت لأشباه الرجال أصحاب الأيدى الناعمة والجهلاء وأولاد الشوارع ؟

إذا كنت تتصرف هكذا وأنت رجل الأعمال المثقف ابن الناس الطيبين ..

فماذا إذن كنت فاعلاً لو كنت واحدًا من هؤلاء ؟

وإذا برد (مصطفى) بعصبية تنذر بالانفجار :

ـ وماذا كنت فاعلاً أنت لو كنت مكانى يا سيادة الوزير ؟

وكان رد الوزير بنفس قرفه :

ـ فى ماذا بالضبط ؟ فى الأولى التى دفعت فيها سبع سنوات من عمرك ، وضيّعت فيها كل ما بنيته وبناه أبوك ؟ أم فى الثانية التى كانت ستذهب بك بلا رجعة ؟

ـ بل فى حيّة .. حية حقيرة أوهمتنى بأنها قطة ضعيفة ، فأخذتها فى حضنى ، فإذا بها حية رقطاء ، وإذا بها تعضنى فى قلبى عضة الموت ، وإذا بها ...

وإذا بهتفه الوزير تقاطعه بسرعة ، وكأنه أمسك بصيد ثمين :

ـ مهلاً .. مهلاً يا رجل .. بماذا شبهتها ؟

وكان رد (مصطفى) بمنتهى السخط :

ـ بحيّة .. حية حقيرة ..

وإذا بالوزير يعاود هتافه :

ـ أى حشرة .

وكان رد (مصطفى) مؤمنًا فى انفعاله :

ـ نعم حشرة .. أحقر حشرة خرجت من الأرض .

ـ إذن توقف هنا يا رجل .. توقف بعقلك وأجبنى : هل هناك عاقل يضيّع نفسه فى حشرة ؟ يعلق رقبته فى حبل المشنقة فى حشرة ؟ يدفع دنياه وآخرته ثمنًا لانتقامه من حشرة ؟

فكّر يا رجل ؟

فكّر معى ، ثم أجبنى ؟

بل أسرع بعقلك قليلاً إلى الأمام ، وتخيّل معى .. تخيّل نفسك وقد قتلتها .. وتخيّل نفسك وأنت فى بدلة الإعدام الحمراء .. وتخيّل نفسك وأنت مُساق إلى حبل المشنقة .. وأنت مُعلق فيه من رقبتك .. وأنت مساق إلى خالقك بواحدة من الكبائر ..

تخيّل ذلك كله ، ثم أجبنى : هل تستحق حشرة كل هذا الثمن ؟ أجبنى يا رجل .. أجبنى ..

وكان جواب الرجل بمنتهى الكمد :

ـ بل أجبنى أنت يا معالى الوزير المفكر ..

ما المطلوب منى ؟ أن أتركها تهنأ بما فعلت ؟

وكان رد الوزير :

ـ نعم اتركها ..

اتركها لخالقها ..

للمنتقم الجبار ..

هل تريد الانتقام منها ؟ إذن فأخبرنى ماذا سيكون انتقامك بجوار انتقام المنتقم الجبار ؟

وبُهت الذى سمع ، بينما أردف مبعوث الرحمة :

ـ اتركها له ، وسوف يريك بعينيك انتقامه منها .. هكذا أخذ العهد على نفسه .. أولا تؤمن بعهوده ؟

ـ حاشا لله .

انفلتت الكلمة من قلب المسكين بمنتهى الخشوع .. ها هو شيطان الضياع المنتصب بداخله ، والقابض على قلبه وبصيرته يرتج ويترنح .. وظهر ذلك جليًا على وجهه ، فأسرع الوزير مبعوث الرحمة ينتهزها فرصة .. دنا منه أكثر واضعًا يده على كتفه ، قائلاً له بمنتهى الحنو :

ـ استعذ بالله يا صاحبى .. استعذ بالله وانتبه إلى نفسك ، وإلى ما تبقى فى يدك .. ما زالت فى يدك الفرصة فى حياة كريمة وحلوة ..

وشاعت فى نبرة الوزير العجيب طيبة فى عذوبة أنهار الجنة وهو يردف لصاحبه المعذَّب :

ـ أسلم أمرك لله يا ابن الناس الطيبين وأنت تكسب .. صدّقنى ستكسب .

وصدّقه ابن الناس الطيبين .. صدّقه فصرخ الشيطان الملعون قهرًا ، وولّى مدبرًا .. ولّى بجحيمه وبشره المستطير ، تاركًا القلب يتنفس رحمة الله ، وتاركًا الوجدان المسهد يبرد .. وإذا بـ (مصطفى دياب) البرىء النقى الطيب يأخذ فى العودة ..

حتى عاد تمامًا ..

فإذا بقلبه ساكنًا مطمئنًا ..

وإذا بوجهه مضيئًا مستبشرًا ..

وإذا بعينيه متطلعتين إلى السماء بنظرة طويلة تفيض استغفارًا ، حتى بللتهما الدموع ..

ثم إذا به يعود بعينيه الدامعتين إلى صاحبه العجيب ، فإذا برفيقه فى انتظاره بابتسامة فرحة وتهنئة ، وإذا بالصديقين يعتصران بعضهما بالأحضان .

* * *

الفصل الرابع عشر

قدّم (حسـين الزيات) مرافقتـه إلـى مجموعـة رجـال الأعمـال الملتحين الجالسين حول طاولة الاجتماعات الضخمة فى غرفة مكتبه قائلاً :

ـ يشرفنى أن أقدم لحضراتكم الدكتورة (نادية كرم) ، وسيادتها بالطبع غنية عن التعريف .

ورحّب بهـا الجميع فى حـرارة .. وشكرتهم الدكتـورة ، ليبدأ الاجتماع .. وبالطبع بدأ الحديث فى عملية شبكة المحمول الثالثـة فى (مصر) ، حيث أعاد (حسين الزيات) علـى مسـامع زملائـه العرض الذى قدمه بالنيابة عنهم إلى الدكتورة (ناديـة) ، فـأقرُّوا جميعًا به .. ثم فُتح باب المناقشة فى كافة التفاصيل التـى تحتـاج إليها الدكتورة فى مساعيها ، ولينتهى الأمر بوعد مـن الدكتـورة ببـذل أقصى مـا بوسعهـا فـى سبيـل فوزهم بالعمليـة .. فإذا بـ (حسين الزيات) يقدم لها شـيكًا مقبـول الدفـع بخمسـة ملايين جنيه .. وفوجئت الدكتورة :

ـ ما هذا يا (حسين بك) ؟!

وكان جواب الرجل ببساطة :

ـ عربون بيزنس يا دكتورة .

دارت بعينيها الدهشتين على المجموعة :

ـ ولكننى لم أفعل شيئًا بعد !

وإذا بالجواب يأتيها من رجل أعمال آخر :

ـ مجرد اجتماعك بنا يا دكتورة هو عمل فى حد ذاته !

وتدخّل ثالث :

ـ ثم إننا مستثمرون يا دكتورة ، وسيادتك رئيسة هيئة الاستثمار ، وهذا يعنى أنه حتى فى حالة عدم توفيقنا فى هذه العمليـة ، فإنـه حتمًا سيكون بيننا تعاون ما فى أى مجال آخر .

ـ وأنا تحت أمركم .

قالتهـا الدكتـورة بمنتهـى الوقـار والرصانـة ، بينمـا قلبهـا بيـن ضلوعها يرفرف بسعادة المخلـوق الشره حين يقبض علـى زادٍ محرومًا منه .

وهكذا انتهى حديث البيزنس ، ليبـدأ حديث من نـوع آخر .. حديث بدأ كدردشة بريئة .. ولكن دردشتهم البريئة هذه سرعان ما تحولت إلى ماسورة نقد مسعور وانفتحت ..

نقد عجيب ..

نقد لكل شىء ..

وسخط على كل شىء ..

ويأس من كل شىء ..

وكأن اللوحة سواد فى سواد ..

وكأنها ليس بها نقطة واحدة بيضاء ..

وكأن أولئك المسكين هنـاك بدفّة الحكم هـم الأبالسـة الذين أظلموها ، وكأن أصحابنا هنا بلحاهم هذه ، وبزبيبات الصلاة على جباههم هم الملائكة الذين بأيديهم وحدهم إضاءتها ..

وكأن واحدًا من أصحابنـا هنـا .. واحـدًا فقط .. لـم يحـاول أن يسأل نفسه سؤالاً واحدًا بسيطًا ، وهو إذا كانوا هم بهذا الصـلاح والاستقامة فما تفسيرهم لأسلوب الرشاوى الذى جمعهم هنا الآن ؟ ولهذه الرشوة التـى مـا زالـت سـاخنة فـى حقيبـة الدكتـورة التـى تعتلى طاولتهم شاهدة على صلاحهم واستقامتهم ؟!!!!!!

* * *

أشعل (كمال أسعد) سيجارته ، وهو يجلس خلف مكتبه الإيطـالى الضخم ، وأخذ نفسًا طويـلاً منهـا ، ثـم نظـر إلـى (مصطفـى) الجالس أمامه متسائلاً :

ـ هل يمكننا أن ندخل فى الجد يا (درش) ؟

انفرجت شفتا (درش) عن ابتسامة حلوة وهو يجيب :

ـ الحقيقة يا (كمال) بك أننى مع سيادتك لا أعرف الجد من الهزل .

ـ لا .. سنتكلم جد .

ـ تحت أمر سيادتك .

أخذ الوزير رشفة من قهوته الموضوعة أمامه على المكتب ، ثم بدأ حديثه الجاد :

ـ من شهر واحد تقريبًا قـررت هيئـة النقل العام دخول عـالم البزنس بطريقـة ذكيـة ، وهـى أن تدعـو المسـتثمرين أصحــاب الخبرة فى مجال نقل الركاب إلى إنشـاء شركات نقل ركاب تعمـل بترخيص من الهيئــة .. وبـالطبع كـان لهـا هدفـان مـن وراء هـذا الاتجاه .. أولاً : التخفيف من حدة أزمة المواصلات التـى تخنـق الناس .. ثانيًا : رفع عائدات الهيئة بالنسبة التى ستحصل عليهـا من أرباح هذه الشركات ..

وسكت الرجل ، فكان تعليق (مصطفى) :

ـ اتجاه جيد .

وإذا برد الوزير ببساطته العجيبة :

ـ أنا لم أطلب رأيك فى اتجاههم .

دُهش (مصطفى) :

ـ ماذا تطلب سيادتك إذن ؟

ـ أن تنشئ شركة من هذه الشركات ؟

انفلتت ابتسامة (درش) الحلوة ، ثم قال :

ـ ألم تخبرنى سيادتك بأننا سنتكلم جد ؟

ـ وأنا أتكلم جد .

ـ وهل من الجد أن تطلب منى إنشاء مشروع كهذا يا (كمال) بك ؟

ـ نعم .

ـ بم ؟ بمصروف جيبى الذى آخذه من سيادتك ؟

فوجئ الرجل بالكلمة :

ـ مصروف جيبك ؟!

وطفح العتاب فى نبرته ونظرته :

ـ أنا لا أمنحك مصروفًا يا رجل ، بل أمنحك قروضًا .

ـ قروضًا ؟!

ـ نعم .. قروضًا حتى يفتحها الله عليك .

همّ (مصطفى) بأن يمضى فى جدله ، ولكن الرجل أسرع يقطع عليه الطريق باستنكار واضح :

ـ (مصطفى) لا تعكّر دمى يا رجل .

فوجئ (مصطفى) باختناق الرجل الغريب على شخصيته ، فلم يملك إلا ابتلاع رده الذى كان ينويه ، والاعتذار فى تأثُّر :

ـ أنا آسف يا (كمال) بك .

وأردف بتأثُّره :

ـ أنا فقط فوجئت بموضوع الشركة هذه ، وسيادتك خير من يعلم بظروفى .

ورطبت نفس الرجل ، وعادت إليه سلاسته وحنوه :

ـ طبعًا أعلم .

ـ إذن بم سأنشئ مشروعًا بهذه الضخامة ؟

ـ بخبرتك .. أنت مترب فى هذا النشاط .

ـ نعم ، ولكن الخبرة تحتاج إلى رأس مال .

ـ منى .. سنتشارك .. أنت بخبرتك ، وأنا برأس المال .

هنا وضح الأمر لـ (مصطفى) ، فإذا به يكتشف أن الوزير العجيب كان جادًا فعلاً من بداية حديثه ، وجادًا فيما يعرضه ، ويكتشف أيضًا أن الأمر على كبره فى منتهى البساطة ، وليس به غرابة أو إعجاز .. وإذا بخياله يسرع إلى الأمام ، فيرى نفسه وقد عاد مالكًا لشركة أكبر من تلك التى فقدها فى نوبة قسوة من الأيام .

هكذا جاء العوض بين عشية وضحاها ..

وبمنتهى البساطة ..

ياااه على عوض المولى عزّ وجل .

ووجد (مصطفى دياب) نفسه ينهض واقفًا متطلعًا إلى الوزير العجيب الذى أردف ببساطته :

ـ المحامون الآن يعدون العقود والأوراق اللازمة ..

لم يعد هناك أدنى شك لدى (مصطفى) فى أن هذا الرجل ما هو إلاّ مبعوث رحمة .. ونهض الرجل العجيب هو الآخر خارجًا من خلف مكتبه ، ليقف أمام (مصطفى) يتأمله مليًا بنظرة تفيض حبًا وحنانًا ساحرًا ، ثم يردف قائلاً له :

ـ الشركة ستحمل اسم (دياب) يا (درش) ..

وفوجئ ابن (دياب) ..

فوجئ مفاجأة طارت بقلبه ، وأشرقت فى وجهه وفى عينيه .. وفى كل كيانه ..

وجد نفسه يحدّق فى الرجل العجيب مذهولاً غير مصدق ، فإذا بالرجل يؤكدها له :

ـ إنها شركة (دياب) يا (مصطفى) ..

ـ معقول ؟!

رددها (مصطفى) بشعور من يستيقظ من حلم جميل لا يصدقه عقل ، ليجده وقد صار حقيقة أشهى وأحلى وأروع من الحلم أضعافًا مضاعفة .. وقرأ الوزير العجيب شعور صديقه على وجهه وفى عينيه وفى نبرته ، فكان رده ابتسامة تفيض بحنانه العجيب مثله ، ثم يقول له :

ـ هيّا بنا (جيجى) داعيتنا إلى الغداء لديها .

وهمّ بأن يمضى بصديقه ، ولكن صديقه أسرع يستوقفه بجدية مفاجأة :

ـ سيادة الوزير !

التفت الرجل إليه متسائلاً ببساطته :

ـ نعم .

ـ لماذا تفعل كل ذلك معى ؟

وكان رد الرجل بعد نظرة طويلة فى وجهه :

ـ كى أكسب الرهان .

دُهش (مصطفى) :

ـ أى رهان ؟!

ـ ألم أراهنك فى أول لقاء جمعنا فى السجن على أن الدنيا مازالت بخير ؟ وعلى أن الإنسان ليس بهذا السوء الذى تراه ؟

وتذكّر (مصطفى) ، فراح يتأمّل الرجل بنظرة مليّة ، محاولاً سبر غوره ، ثم عاد يسأله بجديته :

ـ هل ترانى بهذه السذاجة يا (كمال) بك ؟

ودُهش الوزير :

ـ سذاجة ؟!

ولم يبال (مصطفى) بدهشته ، ومضى يحاصره :

ـ أيفعل إنسان كل هذا من أجل رهان ؟!

ولم يتأثر الوزير بمحاولته ، وأجابه ببساطة :

ـ ولِمَ لا ؟

هنا طغت مسحة اختناق على وجه (مصطفى) ، وأطلت من عينيه نظرة عتاب إلى الرجل .. بات واضحًا أن غموض الموقف يأخذ بخناقه ، ويوشك أن يذهب بفرحته .. ووقع ذلك فى نفس الوزير ، فإذا ببشاشته هو الآخر تتوارى لتزحف محلها سحب تأثر غامض أطفأت وجهه ، وإذا به يسأل (مصطفى) بتأثره الغامض :

ـ ماذا تريد يا (مصطفى) ؟

ـ أريدك أن تريحنى يا (كمال) بك .

وراح (مصطفى) يتطلع إلى الرجل بجم رجائه ، بينما عينا الرجل معلقتان بعينيه بنظرة مخنوقة .. ثم إذا به يقول له باختناقه :

ـ إنه دين قديم فى رقبتى يا (مصطفى) .

دُهش (مصطفى) :

ـ دين ؟!

وأجابه الرجل بوجومه الغريب على شخصيته :

ـ نعم .

ـ دين لمن ؟!

ـ لوالدك الله يرحمه .

فوجئ (مصطفى) أكثر :

ـ والدى أنا ؟!

ـ نعم والدك الحاج (دياب) .

ـ وهل كنت تعرفه ؟!

ـ نعم .

اشتدت الدهشة على (مصطفى) .. ووجد نفسه يحدق فى الرجل بفضول عاصف ، بينما بدا الرجل وكأن الحديث يشقّ عليه ، ولكن الموقف كان قد بلغ حدًا لا مفر عنده من الحديث ، فراح الرجل يجاهد لبرهة مستبقيًا شكيمته ، حتى إذا ما نجح ، راح يزيح الستار لـ (مصطفى) عما يريد معرفته :

ـ منذ ستين عامًا تقريبًا .. أى وأنا لم أبلغ السادسة بعد من عمرى .. تركنى والدى داخل سيارته الواقفة بمدخل جراج

العمارة التى كنا نقطنها على نيل (الزمالك) ، لينشغل بالحديث مع جار لنا ، التقاه فى الجراج بالمصادفة .. وقف والدى يتحدث إلى جارنا خلف السيارة ، بينما رحت أنا أسلّى نفسى باللهو بداخلها .. رحت أقلّد بابا وهو يقود السيارة .. وإذا بالسيارة فجأة تتحرك ، مندفعة على المدخل المتحرك إلى الشارع الذى يعج بالسيارات المارقة ، وينتهى عرضه بنهر النيل .. أى أن السيارة فى تلك اللحظة إذا نجت من سيارات الشارع ، ستسقط حتمًا فى النيل ..

وصرخت مرتاعًا ..

وصرخ أبى وجاره وهما يندفعان محاولين اللحاق بالسيارة الرعناء .. ولكنهما سرعان ما تجمدا فى مكانيهما ، فقد أدركا أنه لا أمل فى إيقافها ..

ولكنها فجأة توقفت ..

توقفت بمعجزة ..

فقد انشقت الأرض فى هذه اللحظة عن سايس الجراج الشاب ، الذى لم يكن قد جاوز الخامسة والعشرين من عمره ، ليلقى بنفسه أمام السيارة محاولاً إيقافها .. وبالفعل توقفت .. ولكن فوق ساقه ..

وانقطع حديث الوزير بدموعه .. وشعر بساقيه تفقدان القدرة على حمله ، فتهالك بمقعد خلفه مباشرةً ، مغالبًا دموعه ، بينما (مصطفى) يدنو منه ، وقد صعقه ذهوله ، حتى توقّف أمامه يسأله مبهوتًا :

ـ وهذا السايس كان أبى ؟!

وهز الوزير المتهالك رأسه المطرق إلى الأرض بالإيجاب ، ثم عاد يواصل روايته بالدموع :

ـ وضاعت ساقه .. وكان من الممكن أن تضيع فيها حياته كلها .

وازداد صوته اختناقًا بالدموع ، وهو ينهيها :

ـ وفى محضر البوليس لم يذكرنى مطلقًا ، حتى لا يتهموا أبى بالإهمال ، وادعى أنه هو الذى نسى تأمين السيارة بفرامل اليد .

وأخرج الوزير منديله ، وراح يمسح دموعه المنسابة من عينيه دون أن يرفع وجهه المنكفئ نحو الأرض ، بينما تهالك (مصطفى) هو الآخر فى مقعد مجاور ، وراح يمسح دموعه وقد تفطّر قلبه إجلالا لهذا الرجل العظيم .. ووجد نفسه يغمغم قائلاً بالدموع :

ـ الله يرحمك يا حاج .. ما عاد لدى شك فى أنك شجرة لن تتكرر .

* * *

الفصل الخامس عشر

عجّت حديقة مقر شركة (دياب) لنقل الركاب بعشرات الضيوف من كبار المسئولين ، وكبار رجال الأعمال ، وعلية القوم الذين راحوا يتوافدون منذ غروب الشمس مهنئين بافتتاح الشركة العملاقة ..

كان مقر الشركة فيلا ضخمة من طابقين ، تم بناؤها وتجهيزها على أحدث طراز ، وكان أجمل ما فيها هذه الحديقة الكبيرة التى تخطف القلب بروعتها وروائحها التى انطلقت تتخطى سور الفيلا الفرعونى إلى صحراء مطار (القاهرة) الدولى المحيطة بها ، وكأنها تريد حمل بهجة ضيوفها وسعادتهم إلى أبعد مدى تستطيعه .

وعلى أنغام الـ (دى جى) ، وأنوار ثريات الحديقة البيضاء ، وحول موائد الخراف المشوية تحلّق الضيوف ، وقد جمعهم جميعًا حديث واحد فى حكاية واحدة ..

حكاية عريس الليلة ..

(مصطفى دياب) ..

هذا الرجل الذى أثبت بالدليل القاطع أن الدنيا كالمرأة الفاتنة ، لا تهب نفسها إلا للرجل الذى يثبت جدارته بها .

وها هو (مصطفى دياب) يثبت أنه هذا الرجل ..

وها هى الدنيا تأتيه طواعية بكامل فتنتها وسحرها ، جاعلة منه عريسًا ما شهدت الأرض عريسًا فى بهائه وسحره ..

وها هو العريس المحظوظ يحلّق بين ضيوفه بسعادة الله وحده هو الذى يعلم مداها وحلاوتها ..

النجاح ، والسعادة ، والإحساس الطاغى بكرم الله معه غسلوا قلبه ووجدانه كله من كل موجعة ، فصفا قلبه للحياة ، وسطع وجهه بسعادة الأنقياء الذين لا تشوب قلوبهم شائبة ..

وها هو (درش) بوسامته الساحرة ، وبأناقته الطاغية ، وبرجولته الساطعة على هيئته ، وبسعادته الوقورة التى يوزّعها على مهنئيه يبدو فارسًا أسطوريًا يطير بسعادة انتصاره ..

وطغت سعادة كل الموجودين بسعادته ..

ولكن سعادة واحد منهم كانت تفوق سعادتهم جميعًا مجتمعة ..

إنه صديقه وشريكه (كمال أسعد) ، الذى لم يرفع عينيه عنه للحظة منذ بدء الليلة ، رغم انهماكه فى الاحتفاء بضيوفه ، حتى وجد نفسه يتسلل من بين أصدقائه المحيطين به ، ليتجه إليه تسبقه نظراته الباسمة العجيبة ، وابتسامته الحلوة الأكثر عجبًا ، بينما (درش)

يتلقّاه بابتسامة ونظرة أفصحتا عن امتنانه الذى تعجز كل لغات العالم عن وصفه وعن قياسه ..

ووقف الرجلان أمام بعضهما ، يقولان لبعضهما أشياء كثيرة .. كثيرة .. لا يعلمها ولا يعيها غيرهما ..

لا بالكلمات .. بل بالعيون ..

العيون التى أحيانًا ما تكون أفصح من كل ألسنة البشر مجتمعة ..

وطال الحديث العجيب ..

طال ..

لينتهى بابتسامة متبادلة بينهما ، لم يملكا بعدها إلا القفز فى حضنى بعضهما فى عناق طال حتى جاء من يفصلهما ..

قمر الحفل بلا منازع ..

(جى جى) !

ربتت على شقيقها من الخلف حتى التفت إليها ، فإذا بها تقول له باسمة ، وهى تشير له بأصابعها :

ـ اصرف نفسك !

وفوجئ (مصطفى) .. بينما أجابها شقيقها ببساطته العجيبة :

ـ هكذا بدون بخور أو عزيمة ؟

وكان ردها :

ـ أنت عفريت أليف لا تحتاج إلى هذا .

ولم يملك الرجل إلا أن يزم شفتيه استسلامًا ، ثم يلتفت إلى صديقه قائلاً :

ـ عن إذنك يا محظوظ باشا .

ومضى عائدًا إلى أصدقائه ، بينما (مصطفى) يحدّق فى ظهره بمنتهى الدهشة ، حتى انتبه على يد (جى جى) تمسك بيده .. التفت إليها ، فإذا بها تحلّق على وجهه بعينيها السنجابيتين اللتين تذيبان الحجر بفتنتهما للحظة ، ثم تقول له بنفس طريقة شقيقها التى لا تفصل بين الجد والهزل :

ـ الليلة سأتركك لحفلك ولضيوفك ، ولكن غدًا أنت أسيرى .

وكان رده مقلدًا طريقتها :

ـ وماذا ستفعلين بأسير أكل عليه الدهر وشرب ؟

وجاءه الرد محمولاً على نظرات عينيها التى لا تُقاوم :

ـ سأعيد ترميمه !!

* * *

أعاد الضابط الكبير بجهاز أمن الدولة سماعة التليفون إلى مكانها ، ثم نظر إلى ضباطه الشبان الواقفين أمامه فى مكتبه قائلاً لهم بهدوء واجم :

ـ ائتوا بهم !

ثم أضاف وكأنه تذكّر :

ـ وبكل ما فى حوزتهم من مستندات ووثائق تقضى عليهم ..

وانطلق الضباط ..

وفى لحظات كان أسطول من لوارى الشرطة ، محمّلاً بجيش من قواتها ، يشق شوارع القاهرة صوب هدفه المحدد ..

فى تلك اللحظات كانت (جى جى) تنطلق بأسيرها الوسيم الجالس إلى جوارها فى سيارتها الـ (صنى) الزرقاء ، وقد بدا مستغرقًا فى تأمل صورة (هالة سرحان) الضخمة المرتفعة فوق ميدان (عبد المنعم رياض) ، ثم إذا به يلتفت إلى (جى جى) المستغرقة فى قيادة السيارة قائلاً :

ـ أتعلمين أنك تشبهين (هالة سرحان) ؟

وكان رد (جى جى) ، وابتسامة الإطراء تهفهف على شفتيها :

ـ أنا حلوة هكذا ؟!

ـ عنقود عنب يجنن .. آه لو تطوله يدى .

فوجئت (جى جى) :

ـ من ؟!

أطلق عينيه الباسمتين فى جنة عينيها ، ثم أجابها باسمًا فى مكر :

ـ (هالة شو) طبعًا .

ولم تملك له ردًا .. ذابت فى نظرة عينيه ، وفى ابتسامته ، وفى شقاوته ..

وبدت وكأنها فوجئت بشخصيته اللذيذة هذه ، فلم تملك إلا أن تمنحه عينيها يبحر فى جنتهما كيفما شاء ..

ولكنهما فجأة انتبها على احتقان الطريق بالسيارات ..

كانا قد بلغا كورنيش (العجوزة) ، مقتربين من فندق (شهر زاد) الذى يقصدانه .. ولكن الطريق راح يزداد احتقانًا ، مما جعل (جى جى) تتساءل عما عساه يوقف الطريق هكذا ، ولكنها ما كادت تتم سؤالها ، حتى بدأ السبب ينجلى لهما .. فقد ظهرت لوارى الشرطة مصطفة على جانب الطريق ، ومن حولها قوات الشرطة التى تكفى لإغلاق مدينة بأكملها .. وكان تعليق (مصطفى) مازحًا :

ـ يا له من احتفاء بنا !

ولكن مزاحه سرعان ما تحول إلى ذهول جنونى ، جعل وجهه كله يتخشب ، وعينيه تجحظان بشدة ، وكأنهما ستنفجران ذهولاً ، وهو يحدّق فى مدخل العمارة التى يمران أمامها ، والتى بلغت كثافة قوات البوليس عندها ذروتها .. راح يغمض عينيه ويفتحهما .. يغمضهما ويفتحهما ، وكأنه لا يصدّق ما يراه ..

ولكن ما يراه كان حقيقة ..

إنها هى !!

نعم هى !!

الدكتورة (نادية) !!

مكبلة اليدين مع شلة الملتحين ، والجنود يسوقونهم إلى سيارات البوليس وسط الجماهير الساخطة ..

وتأكد لـ (مصطفى) أنها هى ، فكانت قفزته من السيارة كالسهم المنطلق ، مخترقًا جموع المتجمهرين ، حتى فوجئت به الدكتورة المكبلة منتصبًا أمامها ..

وقف أمامها يتفرّسها بنظرة طويلة ..

طويلة ..

طويلة ..

طويلة بطول الحكاية ..

ثم قال لها ثلاث كلمات ..

ثلاث كلمات فقط لا فوقها :

ـ مع السلامة .... يا دكتورة !

تمت بحمد الله

★ ★ ★

فوزى عوض

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة:

1 ـ من أجلك .
2 ـ لا تقل وداعًا .
3 ـ قلوب لا تنبض .
4 ـ الدموع الباردة .
5 ـ هى فى حياتى .
6 ـ ياقلب لا تغفر .
7 ـ النبع الجاف .
8 ـ طيور بلا أجنحة .
9 ـ رسالة حب .
10 ـ لعبة القدر .
11 ـ العصفور الجريح .
12 ـ أشجار الحب .
13 ـ رحلة قلب .
14 ـ شمس الليل .
15 ـ الحب بلا أرقام .
16 ـ لقاء الحب .
17 ـ المرآة السوداء .
18 ـ حب وكراهية .
19 ـ وذاب الجليد .
20 ـ حب وسط النيران .
21 ـ دموع كيوبيد .
22 ـ أوهام الحب .
23 ـ نداء قلبى .
24 ـ حذار من الحب .
25 ـ الموعد .
26 ـ وداعًا يا حبى .
27 ـ حبى المعذب .
28 ـ لك قلبى .
29 ـ الحلم .
30 ـ زوجى .
31 ـ الحب والمعجزة .
32 ـ وداعًا للماضى .
33 ـ طائر غريب .
34 ـ هذا الرجل .
35 ـ التقينا من جديد .
36 ـ نسمة الصباح .
37 ـ لن أعود .
38 ـ الشريكان .
39 ـ أنت قدرى .
40 ـ بلا أمل .
41 ـ أحلام ضائعة .
42 ـ أبى الحبيب .
43 ـ الحاجز .
44 ـ لن أنساك .
45 ـ ستبقى فى قلبى .
46 ـ أحببتك فى صمت .
47 ـ رجل وقلبان .
48 ـ الحب الجريح .
49 ـ الحب والاختيار .
50 ـ وابتسمت الحياة .
51 ـ اللقاء الأخير .
52 ـ عودة الغائب .
53 ـ أمواج الحب .
54 ـ معك دائمًا .
55 ـ اغفر لى .
56 ـ لقاء فى الغروب .
57 ـ جدار الماضى .
58 ـ لأنى أحبك .
59 ـ الأسيرة .
60 ـ مرحبًا بالحب .
61 ـ شمعة لا تنطفئ .
62 ـ لا ترحلى .
63 ـ لمسة حب .
64 ـ الصديقتان .
65 ـ الوجه الدميم .
66 ـ خفقات قلب .
67 ـ جراح الماضى .
68 ـ حبيبتى الوحيدة .
69 ـ آلام الحب .
70 ـ كفانا عنادًا .
71 ـ رجل أحببته .
72 ـ نبع الحب .
73 ـ مشاعر دافئة .
74 ـ أشواك الحب .
75 ـ لن أبكى .
76 ـ قلوب حائرة .
77 ـ وداعًا للأبد .
78 ـ فتاة جميلة .
79 ـ قسوة وغفران .
80 ـ ليس من أجلى .
81 ـ سحابة صيف .
82 ـ زهرة برية .
83 ـ زهرتى الجميلة .
84 ـ ابتسامة القدر .
85 ـ لعبة الزمن .
86 ـ شاطئ الأمان .
87 ـ فجر جديد .
88 ـ حب وحرمان .
89 ـ ليل ونهار .
90 ـ سأنتظرك دائمًا .
91 ـ بعد الانتظار .
92 ـ حب بلا موعد .
93 ـ زواج العمر .
94 ـ القرار الصعب .
95 ـ معنى السكوت .
96 ـ يارا .
97 ـ اغفر يا قلب .
98 ـ الحائرة .
99 ـ ملاك الحب .
100 ـ أزمة منتصف العمر .
101 ـ ورود وأحجار ..
102 ـ النورس الحزين .
103 ـ رحلة الأمواج .
104 ـ أحـــلام .
105 ـ زائرة جنيف .
106 ـ وأخيرًا التقينا !
107 ـ أنين الروح .

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

زهور

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

أنين الروح

وفجأة تبخرت مرارة الوزير السجين :
ليقول لمحدثه بصحوة عجيبة :
ـ مصطفى بك ..
يوما ما .. يوما ما سأثبت لك أن الإنسان
ليس بهذا السوء الذى تراه .. وأبدا لن
يكون .. نحن على موعد يا سيدى ..
نحن على موعد ..

107





الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم